



رواية

الطاسوس ٢٨٨

عبد الله يسرى



.... بعد دقائق من مطالعة الرئيس جمال عبد الناصر الملف بالكامل، رفع رأسه وقال: «نسبة نجاح الموضوع ده أد إيه يا صلاح؟»

— الرائد صلاح: «مائة بالمائة بإذن الله يا ريس»

— الرئيس جمال: «دول خمسة آلاف جندي وتسعة لواءات يا صلاح، عارف الدعاية اللي حتكسبها إسرائيل في مقايضة العدد الكبير ده بعشرة إسرائيليين بس، منهم الاجاسوس لوتز، أد إيه؟»

— الرائد صلاح: «عارف يا فتندم . بس عارف زى ما سيادتك عارف إن رجالة مصر حيرجعوها تانى وكمان طعم كبير إحنا محضرينه للعدو خلال السنوات الجاية حيستوى هناك على أرضهم» .

— الرئيس جمال: «نجاح الطعم ده حيعتمد على سريته يا صلاح» .



روایت
الجاسوس ۳۸۸

الطبعة الأولى

١٤٢٩هـ - يوليو ٢٠٠٨م



٩ شارع السعادة - أبراج عثمان - روكسى - القاهرة

تليفون وفاكس: ٢٤٥٠١٢٢٨ - ٢٤٥٠١٢٢٩ - ٢٢٥٦٥٩٣٩

المكتبة: ٢ شارع البورصة الجديدة - قصر النيل - القاهرة

تليفون وفاكس: ٢٢٩٢٨٠٧١ - ٢٢٩١٣٠٧٢

Email: <shoroukintl @ hotmail.com >

< shoroukintl @ yahoo.com >

رواية الجاسوس ٣٨٨

قصة واقعية دارت أحداثها في ستينيات القرن الماضي
حيث الحرب الصامتة.. الحرب الباردة.. مع شيء من الخيال

عبد الله يسرى



البرنامج الوطنى لدار الكتب المصرية

الفهرسة أثناء النشر

(بطاقة فهرسة)

إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية (إدارة الشئون الفنية)

يسرى، عبد الله .

رواية الجاسوس ٣٨٨ . عبد الله يسرى .

ط ١ . - القاهرة : مكتبة الشروق الدولية ، ٢٠٠٨ م

٢٣٢ ص ؛ ١٤ × ٢٠ سم .

تدمك ٧ - ٢٥ - ٦٢٧٨ - ٩٧٧ - ٩٧٨

١ - المسرحيات العربية .

٨١٢

٢ - المسرحيات التاريخية .

أ . العنوان .

رقم الإيداع ١٤١٩١ / ٢٠٠٨ م

الترقيم الدولى ٧ - ٢٥ - ٦٢٧٨ - ٩٧٧ - ٩٧٨ - I.S.B.N.

إهداء

إلى سمير ناجي، وكل من ساعدني في إتمام هذا العمل،
الذي حرصت على تقصى الحقيقة من مصادرها الموثوقة التي
خاضت التجربة وعاشتها.
والى روح الكاتب الكبير صالح مرسى .

عبد الله يسرى

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٥	• إهداء
٩	• المقدمة
	تل أبيب ١٩٧٢ - بعد مرور ستة أشهر
١٥	• الفصل الأول: مقهى الصيرفى - أمام باب الفتوح - القاهرة ١٩٦٠م .. برلين ديسمبر ١٩٦٠ - أغسطس ١٩٦١ باريس - سبتمبر ١٩٦١ القاهرة - مقهى الصيرفى ليلاً - ميناء الإسكندرية نوفمبر ١٩٦١ - فى قلب النيل - صباح اليوم التالى . . نادى الفروسية . . الجزيرة - مقهى الصيرفى يناير ١٩٦٢ - فى قلب الليل .
٦٧	• الفصل الثانى: الهرم - أغسطس ١٩٦٢
	فيلا غالب الهرم - فبراير ١٩٦٣ القاهرة - الهرم الثانية بعد منتصف الليل أغسطس - أكتوبر ١٩٦٤ وسط البلد - حارة خميس العدس حتى الخرنفش - الخميس الأول ديسمبر ١٩٦٤ القاهرة - الخميس الثانى من ديسمبر ١٩٦٤ المعبد اليهودى شارع عدلى - الجمعة الثانية من يناير ١٩٦٥ القاهرة - نادى الفروسية بالجزيرة - فبراير ١٩٦٥ مرسى مطروح .

- ١٣٣ • الفصل الثالث: غرة مارس ١٩٦٥ - كوبرى القبة
مقدم البرنامج - مقهى الصيرفى الحسينية القاهرة ٦ مساء - كوبرى
القبة ٣٠: ٦ مساء مبنى المخبرات العامة - قاعة المحكمة السابع
والعشرون من شهر يوليو لعام ١٩٦٥ القاهرة - الخطاب مؤرخ
بـ ١٢ يوليو ١٩٦٥ - برلين ١٥ أغسطس ١٩٦٥ - ١٦ أغسطس
العاشرة صباحا دار القضاء العالى القاهرة - ١٧ أغسطس ١٩٦٥
دار القضاء العالى القاهرة - ٢٠ أغسطس سجن القناطر القاهرة -
الساعة العاشرة صباحا ٢١ أغسطس القاهرة - طرق القاضى بمطرقته
- مساء ٢١ أغسطس ١٩٦٥ مبنى المخبرات الحربية حلمية الزيتون -
أكتوبر ١٩٦٥ سجن القناطر .
- ١٨٧ • الفصل الرابع: سجن طرة - نوفمبر ١٩٦٥
٣٠ ديسمبر بيونس آيرس الأرجنتين وزارة الدفاع - التاسعة مساء مقر
السفارة المصرية فى بيونس آيرس - يناير ١٩٦٦ سجن طرة - القاهرة
١٥ سبتمبر ١٩٦٦ كوبرى القبة - ٥ يونية ١٩٦٧ سجن طرة -
٢٧ يونية ١٩٦٧ القاهرة - مقهى الصيرفى ٢٨ يونية القاهرة - كوبرى
القبة غرة أغسطس ١٩٦٧ - ٣٠ مارس ١٩٧٣ تل أبيب .

المقدمة

قل أبيب ١٩٧٢م

فى حديقة الثيلا التى استقر فيها يوهان قولفجانج لوتز، جلس متمدداً على أريكة وأمامه نسخة من صحيفتى هآرتس و معاريف، و مياه حمام السباحة تلمع بقوة تحت أشعة الشمس، و شريط الذكريات يلوح بقوة فى ذاكرته لسنوات مضت مليئة بالأحداث . .

المذياع يشق الهدوء بصوت دقات بج بن : سيداتى وسادتى السلام عليكم ورحمة الله . . نشرة الأخبار من B.B.C لندن، يقرؤها عليكم ماجد سرحان :-

- «القوات المصرية تقوم بتحركات أمام خط برليف المواجه للقوات الإسرائيلية فى قناة السويس .

- الرئيس السورى حافظ الأسد يستقبل الرئيس المصرى أنور السادات فى زيارة سريعة لدمشق .

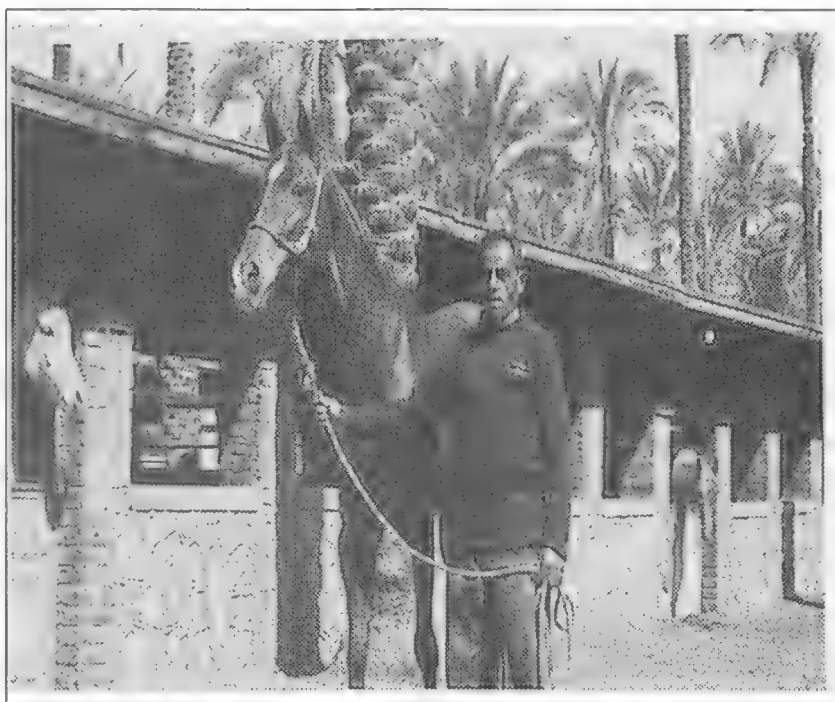
وأخبار أخرى، وإلى حضراتكم التفاصيل من B.B.C» .

يتصاعد وقع خطوات صرُوف الخادم، حتى إذا وصل إلى سيده لوتز ناداه : «سيدى لقد حضر الضيفان» .

صدرت له منذ أسابيع مذكراته، والذي ارتبطت به أحدث قصص الجاسوسية في بؤرة التوتر المستمرة، «الشرق الأوسط». «جاسوس الشمبانيا» هو عنوان كتاب السيد يوهان فولفجانج لوتز الجاسوس الإسرائيلي الذي عاش في مصر منذ عام ١٩٦٠ إلى ١٩٦٨ قضى منها زهاء ستين في السجن هناك. . أهلاً بك سيد لوتز وها أنت تبدو بصحة جيدة».

لوتز مبتسماً: «أوه نعم. شكراً لك يا بيتر على هذه الفرصة التي تجعلني أشعر بالفرح والسعادة؛ لأنني أحكى أحلى ذكرياتي مع الصحفي الشهير بيتر جينجز. لكن أرجوك دعني أبدأ بطريقتي في سرد القصة ولتكن هذه هي البداية. .».





هنا في الإسطنبول بكل سهولة، بس الحاجة الغربية إنه بعد ثلاث سنوات متواصلة من العمل يأخذ إجازة أسبوع بس ويرجع، على كل حال صحته رادّه ونفسه مفتوحة للشغل»، نطق بهذه الكلمات وانصرف الحارس الخاص بمزرعة موريس الذى استدعى على الفور سمير، ليُعلمه باختياره له مدرباً خاصاً لخيول مستر لوتز ويوصيه بأن يكون أكثر من مجرد مدرب... يطيع لوتز قدر استطاعته لأنه رجل سخى شديد الكرم.

بعد كل هذه الكلمات هزّ سمير رأسه موافقاً وانصرف بهدوء ليقوم بخلع ثيابه واستبدل بها ثياباً مناسبة للسهر فى ذلك الفندق الموجودنى وسط

من يجلس معه ويحدثه وكذلك فى التنقل من مجموعة إلى مجموعة أخرى أثناء الحفلة ، كل هذا وهو يختزل أفكاراً ومعلومات كثيرة ليبدأ لعبته الحقيقية فى غضون أيام قليلة .



فى ساعة متأخرة من الليل دخل لوتز إلى مكتبه . . وأخذ يُدوّن تلك المعلومات التى استقاها من العلماء الألمان ومن الضباط القدامى فى الجيش النازى ، ووضعها فى ظرف صغير على المنضدة فى غرفة المعيشة . . وغاب عنها لدقائق إثر نداء قالتروء له لتناول الدواء ، وعند عودته وجد خادمه يقوم بترتيب الأشياء حول المنضدة ، فأثاره الشك وأخذ يصرخ فى خادمه ما لذى يجعلك مستيقظاً إلى هذا الوقت المتأخر من الليل . . وبحركة هستيرية انتزع الظرف من على الطاولة وأخذه إلى المكتب ، هو الآن يشك فى هذا الخادم لكن ماذا يفعل هل يطرده أم يبقيه كوسيلة من وسائل التضليل التى يستعملها دائماً ، فكّر قليلاً ثم قام بوضع الظرف فى درج المكتب وأقفله بمفتاح ونظر بهدوء نحو الباب ليتأكد من عدم وجود أحد وأخذ بإصبعيه شعرةً من رأسه ولصقها على الدرج من طرف والمكتب من طرف آخر ببراعة شديدة . . ليعود بعدها بيومين ليكتشف أن خصلة شعره ليست موجودة وبعدها أصبح على يقين بأن المخبرات العامة على علم بحقيقة وجوده ، لتبدأ مرحلة أخرى من الصراع . . .



الفصل الثانى

الهرم - أغسطس ١٩٦٢

حتى هادئ . . معظم بناياته، فيلات رشيقة التصميم . . غالباً ما يكون فى مقدمتها بعد المدخل الرئيسى حديقة . . يسكن هذا الحى الفئة المحظوظة من الطبقة الوسطى . . مع أن الصمت فى بعض الأحيان يخيف، إلا أن طبيعة ساكنى هذا الحى قد ألفته كما ألف الحى الملاهى والكازينوهات الموجودة فى الشارع الممتد طويلاً حتى هضبة الهرم، حديقة رادوبيس على يسار القادم من ميدان الجيزة إلى الهرم . . فيها دار عرض سينمائية وعادة ما يحب الأطفال أو الشباب الذهاب إلى هذه الحديقة تحت أشعة الشمس فى الشتاء للتزلج «بالباتيناچ» وعادة ما يكونون من شباب الجامعات الذين يأتون فى رحلات شبه منتظمة . . الفتيات يلبسن القمصان الكت والمينى جيب بحرية دون مضايقات، شعرهن مصفف بطريقة الدجراديه أو الأجارسون . . وبعضهن يفضلن لبس البنطلون الشارلستون القماش مع البلوزة الزاهية الألوان . . أما الفتيان فطبعاً القمصان ذات الياقة العريضة والأزرار المفتوحة من أعلى . . والشعر الكثيف ذو السوالمف العريضة والبنطلون الشارلستون أيضاً . . كان التبارى بينهم فى رقص الروك أند رول ثم التزلج بالباتيناچ وعند المساء،

السينما وخاصة الأفلام الرومانسية للفتى الأسمر عبد الحليم حافظ مع إحدى نجومات السينما . . فاتن حمامة . . زبيدة ثروت نادية لطفي . . مريم فخر الدين وطبعاً . . كان أحمد رمزي وحسن يوسف غोजاً للشباب الملئ بالحيوية والمرح .

كان للمرح ساعاته وللعمل ساعاته وللدراسة ساعاتها أيضاً ، فالجامعة المصرية كانت أشبه بالنيل الذى يفيض كل عام . . ويروى كل الأراضى حوله . . الطلبة فى كل التخصصات لديهم محاضراتهم وأساتذتهم المصريون الذين تعلموا فى الخارج فى جامعات «السوربون» و«هارفارد» و«أكسفورد» و«أخن الألمانية» وعادوا ليقدموا علومهم وخبراتهم للطلبة ، بجانب الحياة العلمية فى الجامعة هناك العمل العام . . انتخابات اتحادات الطلبة - التيارات السياسية - المتابعة الدقيقة للأخبار العالمية والقومية العربية . والبوليس السياسى إذا أراد أن يعرف رد فعل الرأى العام أول ما يبدأ بتقييم رد فعل الطلبة داخل الجامعات . . بجانب تلك الحياة المفعمة بالنشاط والبناء والعمل - كانت هناك التقارير التى تصل إلى مكاتب البوليس عن طريق مكاتب حرس الجامعات ، يقوم بكتابتها بعض الطلبة الذين تم اختيارهم بعناية فائقة مثلاً :

فى الساعة العاشرة مساء أمس اجتمع كلٌ من فلان وفلان ومعهم فلان وفلان فى منزل فلان ، ودار الحديث حول النقاط التالية ، إضراب عمال شركة الغزل والنسيج لتأخر رواتبهم ، بعض الشائعات حول لقاءات سرية بين مسئولين مصريين وإسرائيليين ، مقال هيكल الأخير الذى يشرح قرار رئيس

بأن الضيف فى طريقه على متن طائرة خاصة لمطار روما، ويوافقنا بالتقارير أولاً بأول».

«حاضر يافندم»، قالها الرجل وانصرف تاركاً الغرفة وصلاص فى صمتهما الدائم . .

من الصعب على الإنسان أن ينفك عن حياته الأسرية ومشاكله الخاصة وقت عمله، لكن هناك نوعاً من الوظائف يتطلب الفصل التام بين الحياة الشخصية ومجرد دخول باب المكتب حيث يعمل الرجل، لكن هناك أمر لا يستطيع الرائد صلاح أن ينساه ولو للحظة وهو مرض ابنته، لذلك فهو يتعاطف كثيراً مع اللواء يوسف العدل .

✽ فيما عرف بمشروع «القاهر والظافر».

فى عمل المخابرات قاعدة أساسية لا تساهل ولا تراخ حتى مع أقرب الناس، لكن العسكرية المصرية تمتاز بالبعد الإنسانى خاصة عندما يتعامل أفرادها مع بعضهم البعض .

ولكن ماذا على الرائد صلاح أن يفعله . . وفى لحظة لمعت عيناه وتغيرت ملامح وجهه فجأة فى إشارة لفكرة جديدة لكنها تتطلب موافقة رئيسه هذه المرة فانتفض من على كرسيه واتجه إلى حيث تحقيق هذه الفكرة .





قبيلا غالب - الهرم

جرس الباب يدق فى تتابع دون توقف ، ليفتح الباب ويظهر الخادم الذى يُفاجأ بالسؤال قبل أن يوجه توبيخه لسمير حنّاً تادرس ، والذى باغته بـ: «إنت مين يا شوكلاته؟ أمال فين الخواجة؟» ، أجابه الخادم بتذمر: «إنت مين الأول وعايز إيه من الخواجة؟» .

أصدر ضحكة عالية وأزاح يد الخادم واتجه إلى المدخل وجلس ووضع

لا يرتادها إلا الطبقة الأرستقراطية والفئة الغنية من الطبقة الوسطى . . مراكز البنوك الكبيرة فى الشوارع المجاورة . . بنك مصر . . البنك المركزى . . بنك الإسكندرية . . بنك القاهرة، أجمل هذه العمارات هى عمارة بنك الإسكندرية بألوانه ومقرنصاته التى تعلو المدخل الرئيسى وتلك اللوحة الخشبية المنقوشة فوق مدخله . .

لمسات الجمال تحيط بالسائر على قدميه فى هذا الشارع أو بالراكب . . غير أنه فى مكان ما فى هذا الشارع . . هناك اختلاط واضح فى الأصوات، أمام المعبد اليهودى الذى يستقبل اليوم الحاضرين من أبناء مصر اليهود الذين حضروا لأداء المناسك والطقوس . . صوت سيارة الإسعاف وهى تعبر أمام المعبد بسرعة مع صوت صافرة العسكرى الواقف خدمة أمام سلالم المعبد مع صوت بائع الجرائد الذى يعلن عن منشئآت جديدة بالقراءة فى الأهرام والجمهورية متعلقة بالقبض على شبكة يهودية إرهابية جديدة . .

الأصوات المهمة التى تدخل المعبد بعضها يعلن عن سخطه والبعض الآخر عن خوفه من الأيام القادمة . . لكن الملاحظ أن العدد يتقلص فى كل سبت، وفى السبت التالى يتساءل البعض عن فلان وفلان، فيعلم أنهم هاجروا إلى إسرائيل عن طريق اليونان بعد أن قام ببيع محلّه ومصنعه وشقته بثمان بخس لكنهم جميعاً فى النهاية يصرون على حمل الوثائق والفواتير والأوراق وشهادات الميلاد وقصاصات الجرائد المتضمنة لإعلاناتهم التجارية أو التعازى أو المجاملات، والتى يُطلقون عليها «الجنيزة» ويرون أنها نوع من الحفاظ على الذكريات والبعض الآخر يرى فيها كنزاً لا يقدر بثمان يتركه لأحفاد الأحفاد .

جلس الراحل صلاح مع بعض معاونيه فى الغرفة المغلقة النوافذ من عدة سنوات والموجودة فى إحدى العمارات الواقعة أمام المعبد فى شارع عدلى ، وتحت ضوء علوى مركّز على طاولة الاجتماعات ، استمع إلى التقرير الشفهى المقتضب لكل واحد منهم . . تناول سماعة التليفون الأسود . . وكان صوت الطرف الآخر أحد معاونيه فى مستشفى الجلاء يقول : « تمام يافندم سيارة الإسعاف دى مش تبع المستشفى بس نمرها مسروقة من عربية متكهنة تابعة للمستشفى موجودة فى الجراج ، حاضر يافندم ، مع السلامة » .

الراحل صلاح : « زىّ ما توقعت المنظمة اليهودية هىّ اللى ورا عربية الإسعاف لمجرد إن صوتها بيضعف حالة التوتر لليهود المصريين اللى جاين لصلاتهم فى المعبد » .

أحد معاونين يرد : « إحنا حاطين عيننا عليهم كلهم تقريباً . . ومتظرين تعليماتك يا فندم » .

الراحل صلاح : « الرّد السياسى جاء بأن كل حاجة تعملها المنظمة تكون بس تحت عينينا ، نرصدها لكن ما نقفش ضدها . . حتى تصدر تعليمات جديدة . . أما عن فرق الإرهاب ، فلا بد من القبض عليهم متلبسين بعد تتبعهم . . انفضلوا دلوقتى وسيبوني مع المعاون مجاهد » .

انصرف الجميع بهدوء من باب الخدم الموجود فى المطبخ والمؤدّى إلى السلم الخلفى للعمارة قام الراحل صلاح بتحضير القهوة فى ركن الغرفة وعاد إلى الطاولة ووضع فئجان أمام المعاون فى نفس الوقت الذى أظهر المعاون احترامه وامتنانه للراحل قائلاً : « العفو يا باشا . . بنفسك » .

الملف الآن معدّ بالتفصيل ليعرضه على رئيس المخابرات العامة . . ويتنظر
الاثنان ردّ رئيس الدولة . . جمال عبد الناصر .



حارة خميس العلس - حى الخرنفش

الشماتة عند المصريين عيب، بس طعمها مغرى، خاصة لو كانت فى حدّ بيثدى الناس، مرشد أو مخبر، بيقو معروفين ومش معروفين فى نفس الوقت . . لو حصلت مصيبة لواحد منهم، الناس اللى حواليه بتعزّيه، بتواسيه بس نظراتها بتقول غير كده، بتقول «أحسن . . كان مفترى . . ربنا خلّص منه» وغالبًا العبارات دية لها ما يؤيدها من النصوص الدينية سواء عند المصريّين المسيحيّين أو المصريّين المسلمين اللى كلهم بيقولوا أمثال برضه بتؤكد الموقف من السلوك ده، «يا فاحت فى البير، مسيرك تقع فيه» .

بس فى حالة كامل أفندى ده، الموضوع يصعب على الكافر، الراجل يده اليمنى نُصّها طار، وعينه الشمال اتقلعت، ووشّه أصبح شبه مشوّه أو يغطّيه الشاش الأبيض . . المنظر كان صعب لكل اللى شافه وهو متسنّد وداخل العمارة اللى ساكن فيها، جيرانه كل واحد فاتح باب شقته وواقف هو ومراته وابنه على باب الشقة ببيصوا على كامل أفندى وهو معدّي من قدامهم طالع السلم، عينه السليمة فى الأرض ومراته مستنّاه من إيده الشمال اللى حيكمّل مشوار حياته بيها .

كان الطريق لشقته فى الدور الثالث أطول وأصعب من صعود جبل «عتاقة» فى السويس، أخيراً وصل الشقة وطلب من مراته قفل الباب ورفض أى زيارة قائلاً: «مش عايز أشوف حدّ ولا حدّ يشوفنى».

لكن جرس الباب أعلن رفضه لهذه العبارة بصوت عالٍ . . كان الطارق جاره وصديقه شحاتة هارون .

نظر كامل أفندى لأولاده وقال: «ما حدش يفتح مش عايز أشوف حد» . زوجته تخبر شحاتة أفندى بموقفه النفسى المتأزم وتعتذر عن عدم إدخاله مؤقتاً مع امتنانها .

شحاتة أفندى: «على كل حال أنا كنت عايز أطمئن عليه . . لو عُزّت حاجة خبّطى علينا، الناس لبعضيها، إوعى تتكسفى» .

قالها شحاتة هارون وانصرف، قالها بصدق لأن كامل أفندى كان صديقه الذى طالما شكّاه وضعه والضعوط التى كان يتعرض لها من الناس ومن النظام ومن المنظمة اليهودية التى كانت تحاول بشتى الطرق إخافته والضغط عليه ليترك مصر ويهاجر إلى إسرائيل، لكنه كان رافضاً تماماً للفكرة وتحمل مع من اعتنقوا نفس الموقف مشاكل وصلت إلى حد القتل والاغتيال فى مساكنهم أو فى الأماكن العامة، لم يكن يعلم شحاتة هارون أن كامل أفندى صديقه اللدود طالما كتب تقارير عنه، فقد كان يعمل مخبراً مع عمله الأصيل فى مكتب البوسطة الموجود فى العتبة، والذى حدث فيه الحادث الأليم الذى نجما منه كامل أفندى بأعجوبة .

الصحف حاولت أن تعرف السبب لكنها عبثًا حاولت ولم تصل إلى شيء، سوى أن أنبوية بوتاجاز صغيرة انفجرت أثناء تحضير كامل أفندى الشاي، التعليمات كانت واضحة وسريعة لرئيس المصلحة ومدير المكتب حيث خضعا لتحقيق سريع وسرّي مع مندوبي المخابرات العامة ومباحث أمن الدولة.

لم يعرف كامل أفندى حتى اللحظة ما حدث له، كل ما يتذكره أنه استلم مجموعة طرود في مكتبه وأخذ يقسمها على البوسطجية، لكنه استوقفه طرد صغير إلى حد ما لأحد الخواجات الألمان الساكنين في شارع الجيش، أخذه كامل أفندى بنفسه كي يوصله ويحصل على بقشيش من الخواجة

لكن هاجسًا جاء له بأن هذا الطرد فيه شيء ما، فحاول بالبخار فتح الظرف وبعد ثوان من وضع الظرف فوق البخار المتصاعد من إبريق الشاي حدث ذلك الشيء الذي لا يعرفه كامل أفندى، الرجل يكاد يُجن مما حدث، لقد فقد يده اليمنى وعينه اليسرى وشوّه وأصبح شبه مقعد لا يستطيع حتى أن يصرخ. لقد التقى به في المستشفى أحد الضباط ومعه مجموعة من المخبرين وأمره بعد أن حققوا معه، بعدم ذكر أي شيء عما حدث بعد عودته إلى المنزل.

إنه يُسقى من نفس الكأس التي سقاها لكثيرين ممن ذكروا في تقاريره الخفية.



الخميس الأول - ديسمبر ١٩٦٤ - القاهرة

غذاء الروح لا يقل فى أهميته عن غذاء الجسد . . المصريون بارعون فى خلق جو المتعة وسط الضغوط المادية والنفسية ، بعضهم كان يعانق السماء بروحه فى الخميس الأول من كل شهر حيث اعتادت أم كلثوم فى هذا الميعاد تقديم حفلها الغنائى عبر الإذاعة المصرية من العاشرة مساء وحتى الساعات الأولى من صباح اليوم التالى . . التذكرة باهظة الثمن ، الحاضرون فى المسرح كبار الشخصيات فى الدولة وعدد من الشخصيات العربية رفيعة المستوى من السودان وليبيا والكويت والأمير السعودى الشاعر عبد الله الفيصل وسيدات الطبقة الأرستقراطية بفساتينهن الزاهية ، فى الصفوف الأخيرة كان الحضور يبذل جهداً فى أخذ مقاعدهم قبل رفع الستار وبداية الحفل . .

هناك جلس سمير حنا تادرس على كرسيه واحتشد للسماع بكامل حواسه وقبل لحظات من البدء عاش بعض المشاهد فى شريط ذكرياته ، فهى السنة الرابعة تمر منذ اختفائه عن أصدقائه وحيه وعالمه الخاص الذى لم يبق منه إلا هذا الصوت الذى جاء لسماعه الليلة .

هو وحيد فى هذا العالم ليس له أقارب لكن له أصدقاء وله مكائنه بين أبناء حيه ، وفى مقهى الصيرفى الذى اعتاد الجلوس فيه وفض المنازعات العابرة كأحد فتوات حارة الحسينية ، على الدُّهل هو الأشهر لكنه الآن نفسه لا يكاد يذكر هذا الاسم الذى تحول فى دراما حقيقية إلى سمير حنا تادرس .

اقترب منه سمير وقال : «مندمج قوى يا خويا . . عن إذنك أنا رايح الحمام» .

قالها سمير وهو ينظر للرجل . . وبعد لحظة واحدة أيقن سمير أن الرجل قد فارق الحياة .

انسحب سمير بهدوء وببلاط ثابتة وبعد مراوغة أمن المسرح استطاع الخروج ووقف أمام سور المسرح الخلفى حيث الهدوء والأسئلة الملحة على ذهنه وسرعان ما انعطفت سيارة سوداء من الشارع الجانبى واتجهت نحوه وتوقفت عند قدميه ليطل رجل أصلع برأسه منها قائلاً : «اركب يا سمير . . يلاً» .

امتل سمير وركب السيارة التى انطلقت بكامل سرعتها . . وبدأ الحوار فى داخلها بأسئلة سمير التى وجهها إلى الرجل الوحيد الذى يعرفه فى السيارة ، «احنا رايحين فين يا مجاهد؟» .

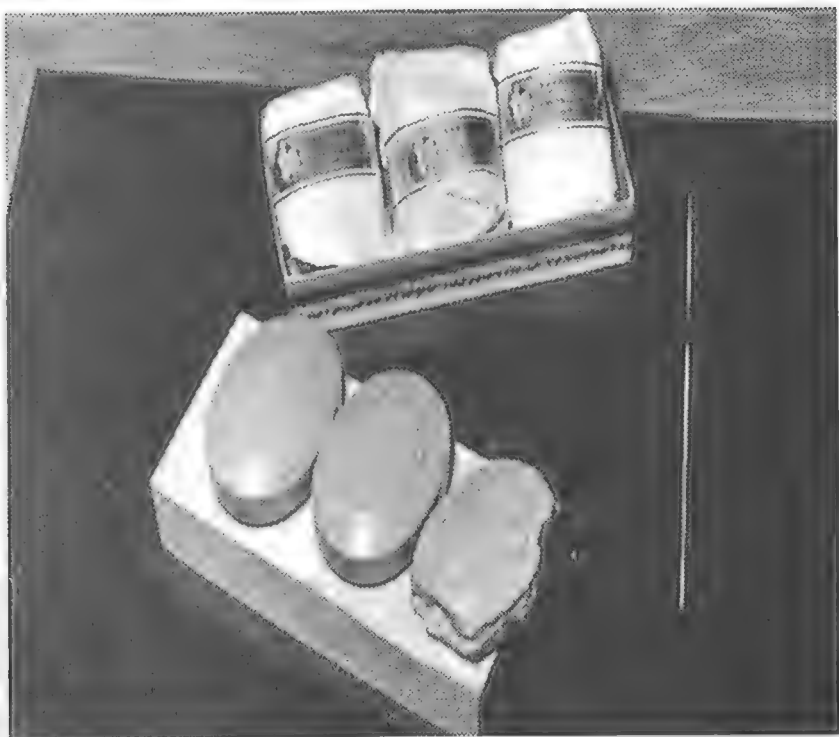
مجاهد : «مأمرية صغيرة لبيت الخواجة لوتز» .

سمير : «يا دى النيلة ، ما كنش ممكن تتأجل لبعد الحفلة ، أنا دافع دم قلبى علشان أحضرها» .

مجاهد : «حنعوضك بتذكرة للحفلة الجاية يا سيدى» .

سمير يخاطب نفسه بصوت عالٍ : «أنا عينى بترف من أول الليلة السوده ديه ، حاسس إن فى حاجة» .

«و المطلوب إيه؟» .



لاحظ سميح هذه المرة عدم وجود حذاء ركوب الخيل . . لاحظ وجود ميزان آخر في الدولاب غير الميزان الموجود في الحمام . . لاحظ قطع الصابون اللافتدر الكثيرة في الدولاب عن السابق، لكن لا أثر لضالته، سيذهب إلى المكتبة لربما وجد بها دفتر الشفقات . . ينظر في ساعته، أمامه خمس دقائق لإنهاء المهمة وهو حتى الآن لم يجد ما يبحث عنه . . لقد فتش المكتبة، كتاباً كتاباً . . لم يبق سوى مجموعة كتب كبيرة وعريضة موجودة في الرف الأعلى لكن أى منها يحتوى على الدفتر فحجم هذه النوعية لا بد أن

يكون صغيراً كالروايات؟ فضوله قاده إلى أول مجلد . . إنه ثقيل . . أوه لا يوجد شئ .

الثانى . . نفس الثقل . . لا فائدة .

الأخير . . أوه ماله كده مش زى الباقي

أخذ سمير يقلبه بين يديه ثم قام بتقليب صفحاته ليجد أنه عند الصفحة الخمسين تتجمد الصفحات حتى المائة . . أخذ يجرب مرة أخرى . . بهدوء وجد الصفحات تُفتح بالعكس ، يبدو وأنه وجد ضالته

بعد ابتسامة صغيرة ظهرت على وجه سمير بدأ فى انتزاع دفتر رقيق ، إنها الشفرة المطلوبة وأخذ يصور صفحاتها بدقة حتى الصفحة الأخيرة . . .

عادت كل الأشياء إلى مكانها . . مع مسحة صغيرة من منديل سمير على مكان بصماته . . وقبل مغادرة القفلا وضع المنديل بمسحة سريعة على أنف الخادم قائلاً : «كفاية كده يا شوكلاته» .

وانصرف بهدوء بنفس الطريقة . . وفى نهاية الشارع عند الشجرة فى مكان الاتفاق كان وصول السيارة متزامناً مع وصوله هناك . . ثم انطلقها بعد ركوبها . .

كلمة واحدة نطق بها سمير فى السيارة للمعاون مجاهد «كله تمام» أعطى بعدها الكاميرا الدقيقة الحجم له . . وبقي صامتاً يستمع لصوت أم كلثوم الصادر من راديو السيارة ، حيث الوصلة الثانية من الحفل ، وقد وصلت إلى ذلك المقطع «هات عينيك تسرح فى دنيتهم عينياً . . هات إيديك ترتاح للمستهم إيدياً» .

لقاء السحاب بين كلمات أحمد شفيق كامل والحان عبد الوهاب ، حيث ظلت أم كلثوم تغنى «إنت عمرى» فى كل حفلاتها هذا العام .



فى قلب القاهرة وفى إحدى العمارات المتاخمة لفندق الكوزموپوليتان فى الطابق الثالث ، شقة عبده ، العميد الذى لا يتجاوز راتبه المائة جنيه ، جلس الجميع بصحبة لوتز صديقهم ، المصدر الأول للشمبانيا والهدايا الثمينة ، فى جو أسطورى ، رائحة المبخرة الموجودة فى ركن القاعة تفوح بالحشيش الجيد القادم من الصحراء . . ثريا تضىء عبر مصباحين اثنين فيها ، القاعة ذات إضاءة هادئة تنعكس من خلال الكريستالات الرائعة المدلاة منها ، سجادة سميكة تغطى تقريباً كل القاعة . . وعلى تلك الطاولة الرخامية تجمعت زجاجات الوسكى والشمبانيا والثلج . . وذلك الصوت الذى تسمعه القاهرة كلها ينبعث من الراديو الموجود فى ركن القاعة . . صوت أم كلثوم ، لكن هذه المرة ، صوتها يعانق أسماع مجموعة من ضباط الجيش . . فى حفلتهم الشهرية التى أطلق عليها «حفلة العزّاب» . . يبدو أنها حفلة واعدة بالفسق ، ، على تلك السفرة الموجودة بالقرب منهم ، انتهى السفرجية من وضع آخر طبق رئيسى للعشاء . . إنه مكسو بالحمام المحشى . . وبجانبه طبق عليه ديك رومى محشو بالمكسرات . . أكثر من ثلاثين صنفاً على المائدة . . «مستحيل . . إن مرتب كتيبة كاملة يكاد يكفى لإقامة مثل هذه المائدة» . . هذه المعانى دارت بسرعة فى رأس لوتز

لكن سرعان ما عاد إلى صمته وابتسامته وتركيزه فيما يدور من حوار ، فمثل هذا النوع من الحفلات ملئ بالمعلومات المحيية إلى لوتز .

مع صوت الترحيب بدخول ضيف جديد، نظر الجميع إلى القادم . . وإذا به اللواء فريد عثمان، والذي ما إن رأى «لوتز» حتى صاح قائلاً: «أهلاً بك أيها الجاسوس، ألم تعلن التوبة بعدُ . . هاهاها».

نظر لوتز وحرَّك رأسه في استسلام وقال: «حسنًا هذه محاولة ابتزاز قمت بالاستعداد لها . . هناك صندوق شمبانيا في السيارة أحضرته حتى أعربَ عن امتناني لك يا فريد ويا محسن على ما قمتما به . . لقد كدت أن أهلك أنا وفالترو»، . . . وأخذت الضحكات تتعالى . . لكن صوتًا هامسًا لرجل هادئ الملامح يبدو من زِيَّه أنه ضابط بحرى ذو أربع شارات كان يناول ضابطاً آخر فى رتبة عقيد كأس وسكى ويقول له: «معقول تهريب الحشيش بيعجيب كل الغنى ده . . أنا حطّلب نقلى للسويس، يمكن ينوبنى من الحب جانب . . بدل شوية الجنيهات اللى ما بتقضينيش لآخر الشهر دية».

انتبه لوتز لما قيل وللرد الذى كان بنفس الصوت الخافت «الضباط أصبحوا أثرياء عن طريق تهريب الحشيش من قطاع غزة إلى القاهرة . . على رأيك الواحد يعمل إيه بالمرتب اللى أقل من مائة جنيه يكفى أولاده وبيته . . أكل وشرب وهدوم وفُسَح واشتراقات فى النادى . . حنعمل إيه بس؟».

أخذ لوتز يفكر فيما سمعه . . آلاف المعانى تدور فى رأسه، فاحتمالية الرشوة فى هؤلاء الضباط ليست بعيدة، فمرتب الضابط لا يكفى ليضع كل هذا الثراء حوله . . البلد يعانى ارتفاع الأسعار ونقصاً فى بعض السلع، والتي هى متوفرة على تلك المائدة المعدة لهؤلاء الضباط . . لا بد أن يستفيد من هؤلاء الفاسدين فى بعض المعلومات المفيدة . . وفى حركة هادئة أخرج

لوتز علبة سجائره وهمّ بإشعال سيجارة ينفث دخانها ليرى حظّه من هذه السهرة وإذا بيد عثمان تمسك بيده ويقول: «تمهل...» وأخرج علبة خشبية من أسفل المقعد الذى كان يجلس عليه وفتحها وإذا برائحة فوّاحة وأخذ يلف بعض محتوياتها فى ورق سجائر ويقول وهو يضع عليها بعض التبغ: «هناك شىء أفضل لضيو فى هذه الليلة»، وناول السيجارة للوتز الذى قام بشمّها وصرخ ضاحكًا: «أوه حشيش، إننى أخالف القانون بهذا العمل»، وتطايرت الضحكات...

هناك نوع من الرجال يُفكر فى زيادة دخله وفاعليته فى عمله وتحسين مستوى حياته وأسرته، لكنه يهرب من الواقع بالحشيش الذى يسيطر على عقله بشكل دائم، آلاف المصريين فى هذه الأوقات يتركون أسرهم يتضورون جوعاً ليدخروا بضعة جنيهات لمتعة الحشيش الذى أصبح عادة شبه يومية

قاطع صوت عبده تلك الحالة من الهدوء والتمایل مع صوت أم كلثوم ورائحة الحشيش قائلاً: «كيف تحلو السهرة بدون نساء، أين فتياتك يا باشا؟».

ردّ عثمان: «المصدر قريب... اذهب أنت وهذا الوسيم الأشقر إلى فندق الكوزموپوليتان واحصلا على المدد من الحسنات هناك فى نادى الشمبانيا».

نادى الشمبانيا فى ذلك الفندق من الأماكن الليلية الباهظة الثمن، اكتسب شهرته منذ أيام الحكم الملكى، عارضات أزياء روما وباريس يعتبرونه محطة رسمية لهن ويتبارين بسحرهن فى الرقص فيه وطبقة الباشاوات والبهوات من

زوار هذا الفندق الساحر، لقد تغير الحال قليلاً منذ الثورة، فقد أصبح هذا الفندق الآن حانة رديئة السمعة من الدرجة الثالثة، زبائنه أغلبهم من السياح.

وصل عبده ولوتز إلى الفندق واتفقا على أن يشربا أولاً فى ذلك البار الخشبي الرائع الموجود على يسار الداخال إلى بهو الفندق. . فجلب الفتيات يتطلب ذلك أولاً.

جلسا على البار، ونادى عبده بيده لرجل البار الذى كان يقوم بتنظيف أظافره بآلة غريبة قائلاً: «سعيد. . كاسين وسكى دوبل، ما تدنيس من القزازيز المضروبه دية، قزازه جونى وولكر من فضلك وخلينى أشوفها قبل ما تفتحها. . يا حرامى».

توجهت إحدى الفتيات على البار إلى عبده - فتاة سمراء ممشوقة القوام لكن نظرتها وملامحها تبدو مرهقة جداً مع مكياجها الردىء. . ، وقالت له: «لو لوحذك. . أوئسك».

ضحك عبده وقال: «عايزين ثلاثة وانت طبعاً. . البيت مش بعيد. . ». نظرت له بإعجاب وللوتز وذهبت لإحضار صديقاتها. . ونظر لوتز لعبدو بإعجاب وقال: «يبدو أنك ذو خبرة فى هذا المكان!». فردّ عليه عبده بسخرية: «إن خبرتى تتضاءل أمامك يا لوتز فأنت وأصدقاؤك الألمان زبائن دائمين هنا فى البار».

شربا وأخذتا الفتيات واتجهتا إلى باب الفندق وإذا بمشاجرة بين نادلين ورجل ضخم المنكبين ذى ملامح أمريكية، استطاع أن يتخلص من أيديهما

وصرخ بصوت عال : «دع يدك عنى . . يا ابن الكلب إنت وهو، أين هى؟
أين هذه الساقطة المتعفتة؟» .

إنه أحد الضباط العاملين فى السفارة الأمريكية التى لا تبتعد كثيراً عن هذا
المكان . . وتابع هذا الشخص فى صراخه : «لقد أنفقت سبعة جنيهات على
هذه الساقطة اللعينة وقد وعدتني بأن تأتى معى إلى خارج حيث كنا معاً فى
البار . . أين هى؟» .

حاول لوتز تهدئته حيث كان يعرفه . . إنه «بيل» صديقه الدائم فى البار . .
لكن محاولاته باءت بالفشل ، فتركه وتحرك مع عبده والفتيات . . وبعد
خطوات شاهده وهو يرفع مديّه فى الهواء ويقول : «أنصتوا لى يا أولاد
الزناة ، إذا لم تأت معى هذه الساقطة وتعطينى الجنيهات السبعة فسوف أقطع
ردفها بثمان هذه الجنيهات . . أفهمتم؟!» .

مرّ الوقت سريعاً فى تلك الليلة مع الأصدقاء وفتيات الهوى وصوت أم
كلثوم ودخان الحشيش . . ومع الراقصة التى جلبها أحد الضباط حيث كانت
تبدو بلباسها الشرقى كقطعة كريستال ، تلبس صدرية مزخرفة وسروالا
تحتياً ببطانة وهو ما يدعى بـ «ستارة ناصر» وهو غطاء قائم يوضع على بطن
وظهر الراقصات ، حيث فُرض بالقانون لبضعة أشهر .

أخذ كل واحد فتاته إلى ركن أو غرفة من غرف المنزل . . ما عدا لوتز الذى
أعلن لأصدقائه : أنه يفضل أن تكون فالترود زوجته هى من تحصل عليه .

فى حقيقة الأمر كان لوتز يتمنى تلك الفتاة السمراء ، يشتهيها كما لو
كانت معلومة سرية مهمة يؤدّ الحصول عليها من عدوّه . . لكن القاعدة التى

تعلمها واعتاد أن يطبقها . . هي أن يتعد عن النساء وأن يتحكم فى غريزته ،
لربما استطاع فى مرة أخرى أن يقابلها فى فندق الكوزموپوليتان الذى يرتاده
من آن لآخر . .

وسرعان ما انصرف وعاد إلى منزله ولم ينس بالطبع أن يمرّ على قاتلرود
ويأخذها من عند صديقاتها حيث كانت تسهر معهن فى حفلة من حفلات
الطبقة الأرستقراطية .

وطوال الطريق كان لوتز يفكر فى تلك العبارة الأخيرة التى سمعها من فريد
حيث طلب منه هذا الأخير أن يتجسس على بعض الخبراء الألمان الذين
سيصلون خلال الأيام القادمة ، ليتأكد ما إذا كانوا جديرين بالثقة أم لا للعمل
فى هذا المشروع العسكرى المهم .

لكنه سرعان ما نفّض عنه هذه الحالة وأخذ يعمل طقوسه الاعتيادية قبل
أن ينام ويترك الأمر كله للدراسة والتمحيص .

الخميس الثانى من ديسمبر ١٩٦٤

المعبد اليهودى - شارع عدلى

السادسة مساءً موعد الاجتماع الطارئ لمجموعة من اليهود المصريين
الذين أخذوا يحضرون فى قاعة سرية أسفل المعبد أعدت خصيصاً
لاجتماعات المنظمة اليهودية العالمية من آن لآخر . . حالة من الترقب
والخوف على وجوه عدد من الحاضرين بملابسهم العادية وكلّ ينظر فى ساعته
التى يضعها فى جيب الصدرية ، وتتدلى منها سلسلة ذهبية مربوطة بزرّ صغير

فى نفس الصدرىة . . أصوات هامسة بعضها مستنكر وبعضها يتساءل بخوف عن المستقبل والبعض الآخر يقرأ المنشورات التى وزعت عليهم عند دخولهم المعبد ، والتى تحتوى على شعارات خاصة بالهجرة وبالتبرع وبالأرقام التى وصلت للهستدروت أو لهيئة بناء المستوطنات فى إسرائيل . .

طرقات على الطاولة الأمامية وصوت أحدهم يقول : «هدوء . . بنرحب بضيوفنا من منظمة الكيرن هايسود والكيرن كيميت ، بنقول لهم حمد لله على السلامة ومستنيين منهم يطمنوننا على وضع اليهود فى العالم وعلى بلدنا إسرائيل اللى مستينانا كلنا نهاجر إليها ويتلمّ شمل اليهود كلهم فى العالم بعد سنوات وسنوات من العذاب والشتات والقرف . . .

أحد الحاضرين يقف ويعلن عن رأيه قائلاً : «القرف والعذاب مش شايفينه هنا ، يمكن ده موجود فى البلاد الثانية ، يبقى نهاجر ليه؟» .

أحد الحاضرين فى أقصى اليمين يقف ويردّ بقوة : «إنت مش شايف كل يوم حدّ يتخطف وحدّ يقتله البوليس وحدّ تتصادر فلوسه وممتلكاته إنت مستنى إيه . . .» .

عادت الطرق مرة أخرى تطلب الهدوء وبدأ الحديث من على المنصة ، رجل فى الخمسينيات من عمره ملامحه روسية ، يتحدث بلغته ويترجم له أحد الجالسين على نفس المنصة . . «برحب بيكم وبأئى تسمعونى كويس ، بلدنا وأهلنا محتاجين فلوس زيادة على إالى وصلّهم . . أمريكا بعثت لحدّ دلوقتى مائتى مليون دولار فى السنوات الخمس الأخيرة ، كلهم راحو لبناء المستوطنات والوحدات السكنية اللى حتسكنوا فيها لما توصلوا

بالسلامة للوطن . . أما ألمانيا فبحسب اتفاقية لوكسمبورج^(*) اللى كانت بينا وبينهم علشان اللى عملوه فينا فبعتت لحد دلوقتى ٥٠٠ مليون دولار .
و النمسا بعتت ٥٠ مليون بعد آخر مفاوضات مع الحكومة هناك . .
أنا بظمنكم كل حاجة محسوبة ومتأيدة ، إنتم بتساعدوا نفسكم قبل أى
حد تانى» .

أحد الحاضرين يقف ويعلن فى سخط قائلاً : «أمال الفضايح اللى بتكتب
عنها الصحافة هناك فى إسرائيل تبقى إيه . . سى عاموس بن جوريون اللى
اختلس من أموال الجبايات والتعويضات هوّ والمقاول صحبه ده «يشعيا
بركونى» اللى اغتنى فجأة بـ ٣٦ ألف ليرة إسرائيلية ولولا «جماعة
المتطوعين»^(**) ما كانش حد عرف ده» . قامت إحدى اليهوديات ، وهى
شابة بدت عليها علامات التمرد وقالت : «وكم ان اللى نشرته صحيفة
هاتسوفيه - الدكتور إسرائيل بيير^(***) اللى اكتشفوه هناك إنه جاسوس . .

(*) اتفاقية لوكسمبورج : بين ألمانيا وإسرائيل وقعت فى ٢٠ سبتمبر ١٩٥٢ تدفع ألمانيا بموجبها
٨٢٠ مليون دولار بدلاً من الرقم الحقيقى المقدّر بعد هزيمة ألمانيا فى الحرب العالمية الثانية
بـ ٦٠٠ مليون دولار فقط رغم أنه لم تكن هناك علاقات أو تبادل دبلوماسى بين البلدين أو
حتى تجارى - بعض هذا المبلغ كان فى صورة مواد خام كالحديد والأنابيب والقمح والسكر
والآلات الزراعية .

(**) جماعة المتطوعين مجموعة مثقفين وقفوا لحالات الفساد فى ذلك الوقت ١٩٦٢ . . . وهى
قضية فساد حقيقية .

(***) كان يشغل منصباً رفيعاً فى وزارة الدفاع أثناء حرب ١٩٤٨ - وهو عضو بارز فى حزب
«الملاي» وأستاذ تاريخ الحروب فى جامعة تل أبيب والمستول عن كتابة حرب ٤٨ فى وزارة
الدفاع .

إزاي عايزنا نروح نقعد هناك فى الفساد ده، يعنى من هم لهمّ يا قلبى
لا تحزن.

بدأت الأصوات تتعالى وسادت الفوضى لبضع دقائق كاد الاجتماع فيها
أن يُلغى . . لكن الجميع عادوا إلى مقاعدهم بعد أن همّ عدد كبير منهم
بالانصراف وعاد المتحدث يقول : «يا جماعة كل ده مرصود وما نقدرش
نمنعه . . بس وجودكم هنا خطر أكبر عليكم . . إحنا عندنا معلومات بتقول
إن كل ممتلكاتكم حتتصادر وحتترموا فى السجون . . إلحقوا ويبيعوا اللي
تقدروا عليه بأى ثمن، لكن ياريت تحتفظوا بالجيزة، علشان حتنفعنا فى يوم
من الأيام . . وبعدين لازم يزيد حجم تبرعاتكم . . وشكراً» .

بدأت الأصوات تتعالى فى القاعة والفوضى تدبّ فى الصفوف لكن
صوت الطرقات عاد مرة أخرى ليطلب الهدوء، والاستماع لهذه المرة لذلك
الأصلح الذى يتحدث العبرية بلهجة أشكنازية والذى بدا واثقاً فى حديثه عن
عدد اليهود فى العالم . . كل ذلك بالأرقام وبرؤية واثقة حيث استطرد قائلاً :
«أما اليهود فى الدول العربية وغير العربية، الحبشة فيها ١٢ ألف يهودى،
المغرب مائتا ألف، وتونس ثمانون ألفاً وإيران برّضه زيهم وأما العراق ففيها
سنة آلاف، ولبنان زيهم، وسوريا خمسة آلاف، واليمن ثلاثة ونص، أما
فى مصر، طبعاً إنتو عارفين إنتو أربعين ألفاً من أصل ثلاثة وعشرين مليوناً
وأربعمائة وعشرة آلاف مصرى؛ يعنى ٢ فى المائة من الإجمالى، أما مجموع
السكان فى إسرائيل لحد ستين بس، اثنين مليون ومائة وسبعين ألف كلهم
يهود ما عدا مائتين وسبعة وثلاثين ألفاً بس غير يهود، طبعاً حاولنا نزيد من

الهجرة على قد ما قدرنا علشان تبقى الأرقام الديموغرافية لصالحنا . . انتم ما عندكوش حل تانى للضغوط والعداء اللي إنتو عايشين فيه هنا ، غير الهجرة للوطن . . إسرائيل» .

أنهى الرجل حديثه واستعدت المنصة لسماع الأسئلة من المجتمعين حيث قام أحد الجلوس وسأل : «يا ترى يا حضرة اليهودى الروسى ، لما أسافر أنا وأسرتى حاقدر أتعامل زيك وأخذ حقى فى المناصب الكبيرة اللي بتشيلوها للأشكنازيين بس؟» .

قام آخر وقال : «صحيح قصة الراجل اللي اسمه «أدولف إيكمان» اللي حرق أكثر من ٦ ملايين يهودى وهرب إلى البرازيل؟ سايبينو ليه؟ هل ده له علاقة بالمشاكل الموجودة دلوقتى مع البرازيل؟» .

قام آخر وسأل : «مين اللي أمر بعملية «لافون»^(*) هل هو بنجاس لافون ولا شيمون بيريز هو ورئيس الأركان «حاييم لاسكوف» ، وليه بن جوريون مش عايز يأخذ موقف واضح؟ ليه الغموض فى المواقف دية؟» .

حالة من الصمت سادت القاعة للحظات ، ريثما دوّن المتحدث على المنصة كل الأسئلة وبدأ بالترجمة للرجلين ، اللذين انهمكا فى الرد بصورة قد تبدو مقنعة . . والجميع يُنصت ويسرح بخياله خارج القاعة إلى المستقبل الذى ينتظره .

(*) كانت عملية تخريبية لبعض السفارات الأجنبية فى مصر عام ١٩٥٤ وظلت مستمرة حتى أواسط الستينيات فى جدل إعلامى .

الجمعة الثانية من يناير ١٩٦٥ - القاهرة

حالة من الهدوء النسبى تتاب ذلك الميدان الرئيسى فى القاهرة . . حيث باب الحديد ، محطة القطار التى تأخذ الناس من العاصمة فى خطوط طويلة إلى الشمال وإلى أقصى الجنوب من مصر . . المترجلون فى هذا الميدان يُمكن بنظرة متفحصة معرفة وجهتهم ، من أين وإلى أين سيذهبون ، خاصة العسكريين ، فأول ما يلاحظ عليهم إذا كانوا قادمين من وحداتهم العسكرية زيهم غير المهندم ، وهم غالباً لا يحملون حقائب يدوية وأيضاً يعلوهم الإرهاق ، أما إذا كانوا قادمين من قراهم أو بلادهم إلى وحداتهم فغالباً ما يحمل العسكر أكياساً فيها بعض الأطعمة البيتى - وتكون ملابسهم وملاحهم فى أفضل حال .

مع وجود الشرطة العسكرية بوحدة دائمة فى الميدان بالقرب من نهاية خط الترمای إلا أنها لا تستطيع خاصة يوم الجمعة السيطرة على أعداد الجنود والضباط العابرين للميدان والمسافرين فى إجازة اليوم الواحد . .

بعضهم كان يصّر على أن يمر أمام تمثال رمسيس الواقف فى شموخ وسط الميدان كأنه حارس لهؤلاء المارة ، مع أن هذا ربما يكلّفه ضياع هذه الإجازة إذا ما وقع فى أيدى الشرطة العسكرية المتربصة هناك بكل من يلبس الزي العسكرى . . وخاصة فى هذه الأشهر التى يُعانى منها الجيش حالات الاستعداد للمرحلة القصوى الدائمة أو المؤقتة من آن لآخر . .

فى ذلك الميدان وفى يوم الجمعة من كل أسبوع اعتاد لوتز القيام بنزّهة بطول شارع رمسيس بسيارته الفارهة الثولكس قاجن .

حيث لا مانع من الوقوف قليلاً، بافتغال عطل ما فى السيارة ليستطيع فى بضع دقائق وضع ملاحظات عامة على حركة العسكريين فى الميدان من حيث العدد والنوع ضباطاً كانوا أو عساكر أو صف جند ، إنها نزهة أسبوعية تمدّه بمعلومات مهمة جداً عن وضع الجيش وحالة الاستعداد فيه . .



لقد اكتسب لوتز دربة عالية فى ملاحظة الأحداث والتعرف على اتجاهات رأى العام المصرى ، وعلى تحليل المواقف وحتى النكات التى يطلقها رجل الشارع ولم تسلم صفحات الوفيات وكذلك الحوادث من قراءة متفحصة يقوم بها لوتز ويستخرج منها كما من المعلومات بحرفية شديدة .

وعند عودة لوتز إلى قبيلته فى حى الهرم الهادئ وفى ذلك المساء بدت عليه علامات التفكير والاضطراب . . حاولت فالتروود سؤاله بهدوء مع ملعقة السكر الأولى التى وضعتها له فى كأس الشاي . . لكنه بدا متحفظاً على الرد بإجابة مقتضبة «إنها كارولين من جديد يا فالتروود . . والليلة سأخذ بشأنها قراراً» .

فهمت فالتروود أن تلك المزعجة التى تزوجت عالم المصريات «هينريتش ولثير» عادت لمضايقة لوتز بأسئلتها الغبية لأصدقائه من الضباط والمسؤولين وكذلك الخبراء الألمان أثناء الحفلات والسهرات التى يجد لوتز فيها نفسه مضطراً لدعوتها مع زوجها ، لكنها فى الآونة الأخيرة ، بدأت تتدخل بشكل مباشر فى حوارات لوتز مع ضيوفه ، وخاصة عند الحديث عن الصواريخ أو

الوضع العسكرى وتسأل أسئلة مباشرة عن مواقعها وعدد قواتها . . . ،
وعندما تكون ثملة لاحظ لوتز أنها تتحدث اللغة الیئذیه!؟(*) .

مع أنها تدعى أنها نصف مجرية ونصف ألمانیة ، وهى أيضاً بالرغم من
سكنها فى الجانب الآخر من القاهرة إلا أنها حرصت على الحصول على
عضوية نادى هیلوبولیس الذى یبعد عن سكنها مسافة ساعة بالسیارة ، كل
ذلك من أجل مقابلة زوجة كارل كئابفر ، والتى تجد نفسها مضطرة لدعوتها
إلى منزلها فى مدینه نصر أحياناً بالرغم من انزعاج زوجها من هذه الضیفه
الثقیله التى طالما شکا للوتز تصرفاتها ، خاصة یوم أمس عندما أتى كارل
كئابفر للوتز فى حالة من الغضب والخوف وشکا له ما قامت به كارولین
عندما كانت فى زیارة لزوجته ، وغافلتها وتسلفت إلى غرفة مكتبه حیث
كانت نافذته مغلقة دائماً وعندما بحثت السیده كئابفر فى أرجاء المنزل
وجدتها هناك وقد قامت بفتح النافذة والتقاط بعض الصور منها حیث كانت
مطله على وحده عسكریه هناك .

وعندما سألتها عن ذلك قالت فى تلعم وارتابك إنها تبحث عن كرة
طفلها الصغیر . .

لقد أكد كئابفر للوتز بأن كارولین تعمل جاسوسه لإسرائیل وبحكم
الصداقه القویه بینه ویین لوتز ، نصحه بتوخى الحذر منها داخل مصر . .
وذكر له بأنه یعترم إبلاغ السلطات المصریه . .

(*) هى لهجه من لهجات اللغة الألمانية تكثر فیها الكلمات العربیه والسلاقیه ینطق بها الیهود فى
الاتحاد السوفیئتی وبلدان أوروبا الوسطی وتكتب بأحرف عبریه .

فى هءوء بالء ؤلب لوتز ما قاله صءىقه الألمانى الذى يعمل لءى وزارة
الحربية المصرية كمستشار لبرنامج الصوارىء المشترك بىن مصر وألمانىاء؁
وىهءوء قام إلى ءرفة المكتب وأخرج ءهاز اللاسلكى وكانت الساعة قد
قاربت الثانية بعء منءصف اللىل . وشرع بكتب رسالة عاجلة إلى تل أبىب
بطلب فىها باءءصار وبقول :

«عاجل ءءاء؁ أوقفوا كارولىن بولتر؁ ضُبِطت متلبسة وهى تصور
مكتب كئابفر من نافءة ءجرة المكتب؁ كئابفر وافق على ترك
الموضوع لى؁ لن أءبر السلطات أوقفوها؁ بىءو أنها تعمل
لءساب منظمة» .

وفى ظهر الیوم التالى قابل لوتز كئابفر فأءبره بأنها سافرت فى الصباء
البكر مع طفلهاء؁ فوالءتها ءءلت المستشفى وطلبت رؤىتها قبل موءتها؁ وفى
المساء قام لوتز بضبط ءهاز الراءىو على الموجة المعتاءة وءسلم رسالة تقول :

«شكرآتم إقفاف ٤٠١ وإءراء اللازم» .



نادى الضروسىة بالءزىرة

مرت عءة أسابىع على أءر ءفلة من ءفلات العزاب ءضرها لوتز
والءقى فىها بأصءقائه؁ والیوم سىلءقى بصءىقه فرىء عثمآن؁ وفى أثناء
الطرىق إلى الناءى كان كل ما یشغل لوتز هو رءة على طلب فرىء عءما كانا
فى ءفلة العزاب الأءىرة ءىء طلب منه مراقبة الءبراء الألمان الءءء ومعرفة

ما إذا كانوا مخلصين أم لا ومنهم كارل كنبفر، وما هي إلا دقائق، حيث تقف سيارته أمام النادى، حتى اتجه لوتز إلى تلك الاستراحة الموجودة هناك حيث ينتظر فريد الذى ما إن رآه حتى هبَّ واقفاً وأخذ فى التلفظ بعباراته الشهيرة «يا رستى أيها العجوز.. أيها الجاسوس الحميم..».

لوتز وهو يصافح عثمان بحرارة هادئة: «اهدأ يا صاحبى لربما سمعك أحدهم وصدقك.. آه.. آه.. آه».

فريد: «لا عليك تعال اجلس هنا، ما الأخبار؟».

لوتز: «كل شىء على ما يرام».

فريد: «وماذا عن أصدقائنا الجدد؟».

لوتز: «أوه، بشأن طلبك يا فريد لم أنس، لقد قابلت ما يكفى من جاءوا فى الأسابيع الماضية، ماذا تريدنى أن أخبرك به عنهم؟».

فريد: «لنبداً بكارل كنبفر».

لوتز: «لقد أتى فى الدرجة الأولى، وهو من ذاك النوع الذى يسيطر عليه الخجل إلا أنه صارم فى تعاملاته وهو لا يتكلم عن عمله خارج مكتبه».

فريد: «عظيم، وماذا عن رأيه تجاه النظام المصرى؟».

لوتز: «إنه يتقد نفسه إذا لم يجد ما يتقده.. ولا يثبت على رأى، وقد لاحظت خلافه على مدى جدية من يعملون معه خاصة المصريين فهو دائماً ما يشكو ذلك لى».

فريد يصمت قليلاً ويقلب الكلام فى رأسه وفى حركة مفتعلة يوجّه دفة الحوار إلى الشأن الخاص والأهم المشترك بينه وبين لوتز.. فىقول: «ما أخبار الشمبانيا يا صاح؟».

فهم لوتز أنه نجح فى خلق جو من الشك حول المهندس كارل كنافر وهو بذلك يضعه تحت المجهر ، فالأيام القادمة سيشهد الرجل فيها عدداً من الضغوط والمضايقات بسبب عدم الثقة التى وضعها لوتز بين فريد عثمان رجل الأمن الأول فى المصانع الحربية الخاصة بالصواريخ وكبير الخبراء الألمان . . فكم من المشروعات أهدرت بسبب عدم الثقة المتبادلة بين الخبراء الأجانب وأصحاب العمل .

وقبل أن يُنهى لوتز ذلك السجال من النكات بينه وبين فريد لم ينس بأن يدعوه لحفل عيد ميلاد زوجته فالترود حيث يستعد له لوتز من الآن ؛ فهو فى الشهر القادم . . .



حفلة عيد الميلاد دخلت يومها الثانى وغداً اليوم الثالث . . قائمة كبيرة من المدعوين لقيلاً غالب فى الهرم ، حيث يُقيم لوتز مع زوجته التى بلغت السنة الثالثة من عقدها الرابع . . كان اليوم الأول مخصصاً لأصدقائهم الضباط المصريين وبالطبع ملئ بالمعلومات خاصة عندما سأل لوتز عشيقته العميد البحرى عن عدم حضوره ، فأجابته : «لقد كان على وشك الحضور لكن استدعاءً بشكل مفاجئ تلقاه من العمل جعله يأخذ حقيقته ويتجه إلى السويس» .

أما الليلة الثانية والثالثة فكانت للخبراء الألمان والأصدقاء المهندسين النمساويين . . وأغلبهم متخصص فى بناء الطائرات . .

دارت سجالات بينهم ، بعد أن شربوا كميات من الوسكى ، حول مرحلة الاختبار للطائرات المقاتلة إتش آى - ٣٠٠ والتى طالت لمدة ست سنوات وتم إنفاق أكثر من خمسمائة مليون جنيه عليها حيث اتهم المصريون الخبراء

الأجانب بالإهمال ، وقام الخبراء من جانبهم بإلقاء اللوم على المصريين ، وكلما التقى جمع منهم ، كان هذا هو الموضوع الرئيسى ، حتى ولو كان فى عيد الميلاد .

الجميع هنا فى هذه الليلة الواعدة بالشراب والسكر «ستينجل» فوجلسانج، برينر، هوفمان، هيرتز . . « لكن أين كنا بفر . . لقد اعتذر عن الحضور . . بدأت الموسيقى تنتشر لتداعب أسماع المدعويين . .

الكثير من الطعام والشراب على البوفيه الذى جلس بالقرب منه ستينجل المسئول عن صناعة المحركات . . ووجه يمتقع حمرة بمرور الوقت من كثرة الشراب حيث بدأ يترنح فى جلسته وهو يصرخ بأعلى صوته : «حسناً لقد استغرق الأمر أطول مما يجب» ووضع الكأس من يده بشدة على البار وقال : «من الطبيعى ما يحدث فلسنا مصنع سيارات أو ألعاباً نارية ، إننا نخلق نوعاً جديداً من الطائرات سيخلق ثورة فى مجال حرب الطائرات فى الشرق الأوسط ، ولا يستطيع المرء فعل ذلك بين يوم وليلة» .

ضحكات فوجلسانج تتصاعد فى سخرية قائلاً : «يوم وليلة . . ها ؟! إذن لماذا يتعطل هذا المحرك اللعين فى كل مرة . . ولا يحدث هذا مرة أو مرتين . . أوه آسف أرجوك اشرح ذلك . . !!» .

أسند لوتز ظهره إلى البار وتابع ما يحدث من أمرٍ مسل أمامه وأطرق سمعه لذلك الحوار .

ستينجل يصرخ بأعلى صوته : «أنت أحمق ، من قال لك أنك مهندس ؟ أنت لا تهتم إلا بجدول المرتبات والتوقعات» .

أنت تتحدث كبعض هؤلاء المصريين الذين أضطر للعمل معهم، إن الغرض من مدة الاختبار هو كشف عيوب التركيب ومن ثم إصلاحها وإذا كان لديك قدر قليل من المعرفة لعرفت بأن ذلك يحتاج إلى مئات المرات من التعديلات والتجارب».

فوجلسانج: «لن تنال شيئاً من سبى وأنا أعرف أنك لست تقنياً وأنت السبب في تأخيرنا، ستجد في المصنع هيكلًا كاملاً للطائرة التي لا ينقصها سوى محركك اللعين».

ونظر لمن في القاعة وصرخ فيهم قائلاً: «هل من في المصنع من يعلم ذلك؟».

وبدأ خلال العشرين دقيقة القادمة في شرح موجز ودقيق عن إجراءات الإنتاج والمعلومات التقنية المضافة.

ذهب لوتز إثر ما قيل إلى الحمام وبدأ في تدوين كل ما ذكر أمامه ثم عاد سريعاً وإذا بـ زوجة ستينجل الشقراء النحيلة تتجه للوتز وتطلب منه قائلة: «من فضلك سيد لوتز لا تعطه المزيد من الشراب فأنت تعلم كيف تسوء حالته عندما يسرف في الشراب».

كان ستينجل قد سمعها برغم صوتها الخافت فصرخ في وجهها وقال: «عليك بنفسك اللعينة، عودي لتتضمي إلى الدجاج ولا تزعجي السيد لوتز وسأريك ما قمت به في البيت».

فوجلسانج يشير بيده ويقول: «سترينها في البيت!».

فردّ عليه ستينجل: «ماذا تقصد يا ابن الزانية؟» وضرب البار بيده واشتعل

الشجار بينهما وأخذ فوجلسا نج يصرخ ويقول: «كلنا نعلم بأنك تضرب زوجتك ولكن ماذا تفعل إذا طلب منك ابنك التوقف عن ضربها، ماذا تفعل؟».

ستينجل يأخذ زجاجة من على البار ويكسرها ويتجه إلى عدوه اللدود وهو يصرخ ويقول: «أيها القواد القينيسى . . سألقنك درساً في الأخلاق»، لكن يد برينر تتدخل وتطوق عنق ستينجل ويقول: «لتصفوا حساباتكم في مكان آخر . . هيا».

ستينجل يصرخ: «ابتعد يا برينر، أنت أيضاً مسئول عن هذا التأخير والإخفاق».

برينر: «ماذا تقصد؟».

ستينجل: «اهدأ لا أقصد الإساءة، لكن هذه مشكلتنا جميعاً إن بقاءنا في مصر أصبح مهدداً . . إن كنا بفر الذي اعتذر عن الحضور اليوم يعيش حالة من الذعر فقد تسلم سكرتيه طرداً انفجر بعد ربع ساعة في وجهه وهو يشعر الآن بخطر بعد رحيل زوجته».

هوفمان: «للأسف هذا صحيح ففي نفس القسم الذي أراسه طلب منى مهندسان منذ يوم مضى قبول استقالتهما في خلال شهر وأنا أبحث عن بديل لهما».

هيرتز: «إن هذا الصيف حرج بالنسبة لنا جميعاً وأشك في عودة هؤلاء جميعاً من أجازاتهم في ألمانيا آخر هذا الصيف».

برينر يصيح قائلاً: «ولكن لماذا؟ إنهم يعيشون في رغد من العيش

يتقاضون رواتبهم التي صُوعفت ثلاث مرات ويسكنون في شقق فاخرة ولديهم امتيازات جمركية - لا أفهم عقول هؤلاء!» .

هيرتز: «بالنسبة لعواجيز مثلنا فهذه أسباب لاستمرارنا هنا أما هؤلاء المهندسون فهم شباب لديهم أفكار مختلفة، لقد أيقنوا بأنه لا مستقبل لهم هنا فالحال متجمد ولا يوجد تقدم وهناك فساد سياسى وخوف مما حدث لكنابفر» .

هوفمان: «هذا هراء خائفون من ماذا؟» .

هيرتز: «من التحول إلى ضحايا حرب مع إسرائيل» .

أطرق لوتز سمعه وأشعل سيجارة ثم بابتسامة هادئة علّق قائلاً: «معك حق لكن يجب أن نقف مع أصدقائنا المصريين» .

انفجر الجميع بالضحك وعلّق هوفمان: «فليذهب الجميع إلى الجحيم، لقد أعطونا بما فيه الكفاية، لا ندين لهم بشيء فهناك من البلاد ما تحتاج إلى خبراتنا في الطيران» .

هيرتز يردّ باستهزاء: «من المحتمل أن تجد عملاً في إسرائيل» .

وتتعالى الضحكات ويرد هوفمان: «ولمَ لا؟ أنا مهندس ولست سياسياً وإذا ما دفعوا لى فلن أتردد أيها اللعين» .

برينر: «لقد ضجرت من هذا الحديث . . إننى سأعود إلى المنزل»، وألقى بالكأس الفارغة من يده باتجاه الحائط .

تبادل الجميع عبارات هزلية وانصرفوا فى أقل من ثلاث دقائق .

سارع لوتز بعد التأكد من انصراف الجميع حيث كان آخرهم سمير حنا تادرس وموريس صاحب الإسطل . . سارع إلى غرفة المكتب العلوية وبدأ فى وضع أحدث تقرير له عما حدث وعن الوضع الحالى لصناعة الطائرات، والذي لا يختلف كثيراً عن وضع الصواريخ .



فبراير ١٩٦٥ - مرسى مطروح

مضت أسابيع ولم ير لوتز صديقه الحميم اللواء يوسف العدل الذى أصبح محافظاً لمطروح . . وها هو لوتز يستعد بعد دقائق لمقابلة صديقه فى عزبته ، وقد اصطحب معه زوجته فالترود ووالديها وصديقه كنافر . . لقد قضى لوتز فترة طويلة فى قيادة السيارة ، والتى كان يتبعها كنافر بسيارته الخاصة ، وعند مدخل العزبة فوجئ الجميع بفرقة من الحرس المسلحين يقفون فى تشكيل بالبنادق بالقرب من البوابة ويحيون الضيوف مع صوت البوق ، وظهر اللواء يوسف وهو يتزل درجات السلم مبتسماً فى وجه ضيوفه مرحباً بهم . . وبعد تناول الغداء وتبادل عبارات المرح بين الجميع ، حاول اللواء يوسف إقناعهم بالبقاء مدة أطول من اليوم الواحد الذى ينوون مكوثه قائلاً : « يارستى ماذا؟ يوم واحد؟ لدى من وسائل المتعة هنا الكثير ، دعنى أرد لك بعضاً عما أنا مدين لك به ، أرجوك ، ستستمتع بالخیل وبركوب الجمال . إنك تحتاج على الأقل أسبوعاً أو أسبوعين ، كما أن ابنتى حنان تود أن تشرك على السعادة التى تسببت لها فيها » .

بدأت الدهشة واضحة على وجه كنبافر ووالدى قالتروود مما قاله اللواء يوسف الذى قام بدوره فى شرح ذلك قائلاً: «إن لدى ثلاث بنات وكنت أتمنى ولداً لكن هذا عطاء الله، هن جميلات وذكيات، لكن ابنتى حنان الصغرى، والتي تبلغ تسعة عشر عاماً تعاني أنفًا معقوفاً مما سبب لها إحباطاً كبيراً، وهذا أمر محرج للفتاة، لكن صديقى العزيز لوتز، والذي لا أعرف كيف أكافئه وجد لى بروفيسوراً ألمانياً متخصصاً فى التجميل، أجرى عملية ناجحة وموفقة لحنان حيث كانت هذه هدية لوتز لحنان فى عيد ميلادها . . سترون جميعكم بعد لحظات حنان . . لكن أرجوك يا لوتز ابق معنا أطول فترة ممكنة» .

حاول لوتز بعبارات مهذبة رفع الخجل والامتان عن صديقه وأكد له أنه سيسافر بعد ثلاثة أيام لألمانيا مع والدى قالتروود بسبب علاجها المستوى هناك . .

وقضى الجميع يومين من الحب والإخلاص والضيافة المصرية والمشاهد الخلابة الموجودة فى صحراء مرسى مطروح . . وفى الصباح الباكر ٢٢ فبراير لليوم الثالث انطلقوا عائدين للقاهرة وعند الوصول انحرفت سيارة لوتز فى أحد شوارع الهرم فى اتجاه الفيلا وأكملت سيارة كنبافر باتجاه منزله فى مدينة نصر، وبعد لحظات توقفت الفولكس فاجن الخاصة بلوتز أمام الفيلا، وإذا به يرى أربع سيارات مليئة بالرجال الذين يلبسون بزات زرقاء تتوقف ويتزلون باتجاه لوتز الذى كان أتم إغلاق سيارته واتجه لباب الفيلا مع قالتروود ووالد بها . .





وإذا بالرجال يحيطون بلوتز عند الباب وصرخ أحدهم وهو رجل قصير ضخم يلبس نظارة سوداء بالرغم من أن الشمس لم تكن ساقطة ذاك النهار، «هيا اربطوا يديه وأدخلوهم جميعاً إلى الثيلا قبل أن يلاحظنا الناس».

سُحب لوتز بعد تقييده من قدميه وأدخل الجميع حديقة الثيلا وأغلق الباب وبدأت حياة جديدة للوتز مع شخصيات لم يكن يحلم بمقابلتها.



الفصل الثالث

غرة مارس ١٩٦٥ - كوبرى القبة

فى غرفة تحتل الطابق الثانى من مبنى المخبرات العامة جلس على مكتب كبير رجل أصلع متوسط الطول يميل إلى البدانة شيئاً ما ، وله شارب كث أسود ، بابتسامة عريضة وجه عبارات التهتهة للرائد صلاح قائلاً : «براڤو يا صلاح» . . .

«أنا قرأت التحقيق بشكل مفصّل مع لوتز وڤالتروود . . . حتى الآن ما قاله كڤيل بإعدامه ، لكن عايزين نعرف مين من ضباط الموساد اللى كان بيتعامل معاهم ، وهل قام بالدور ده لمجرد المال على حد كلامه فى التحقيق؟ أنا مش مقتنع . . . فى نفس الوقت القيادة عايزه نعامله بشكل كويس ، وإظهاره للرأى العام وهو بيعترف بعمله كجاسوس وده حيدينا مكاسب على أكثر من مستوى» .

الرائد صلاح : «أنا بتابع التحقيق معاه من أول ما قبضنا عليه فى ثيلته فى الهرم ولحد اللحظة مع سمير ناجى ، وكيل نيابة أمن الدولة بس لوتز مراوغ ، رأى سيادتك نستخدم معاه وسائلنا علشان نعرف التفاصيل اللى بيهرب منها ، ولا إيه؟» .

«هاته لىَّ بعد ساعة»، نطق بها الرجل وأعطى إشارة الانصراف للرائد صلاح الذى اتجه بدوره إلى الدور الأسفل وبعد عشرين سلَّمه وفى غرفة صغيرة نوعاً ما ، بها مكتب خشبى صغير يجلس عليه سمير ناجى وفى مقابله كرسي صغير ، جلس عليه لوتز وضوء البروجيكتور يكاد يخفى ملامحه وقد بانث عليه آثار الإعياء والإرهاق بعد أن قضى أسبوعاً كاملاً فى ضيافة المخابرات المصرية ، كانت إستراتيجية لوتز فى اعترافاته التى لم يجد مهرباً منها خاصة بعد أن قرأ فى ملفين كبيرين كل الرسائل التى أرسلها ، والرسائل التى استقبلها من إسرائيل الفترة الماضية ، وبعد أن كشف سمير ناجى جهاز الإرسال المخبأ فى الميزان الخاص به فى دولاب لوتز وكذلك أقلام التفجير وصابون اللافتد شديد الانفجار ، بعد كل ذلك كان لوتز يحاول فقط أن يُخفى كونه إسرائيلياً ويهودياً .

كان الأمر حتى الآن يبدو منطقياً أمام سمير ناجى ، فدوافع لوتز للتجسس مجرد المال وعقدة الذنب التى أقنع الإسرائيليون لوتز الألماني النازى أنه سوف يكفّر عنها بخدماته ومعلوماته لإسرائيل .

سحب الرائد صلاح كرسيّاً صغيراً إلى جانب المكتب ، وجلس عليه وبدأ بالحديث بعد أن أشعل سيجارة ونفث دخانها فى الهواء كعادته : «سيد لوتز ، هل تود رؤية فالترود؟» .

لوتز : «أتمنى ذلك» .

الرائد صلاح : «هذاحقك لكن عليك أن تساعدنا فى الاعتراف» .

لوتز : «لقد قلت لكم كل شىء حتى الآن وليس من مصلحتى أن أكذب . .» .



الرائد صلاح : «لقد اعترفت زوجتك بضلوعها فى التجسس وأنها واحدة من أعضاء خليك» .

لوتز : «هذا هراء ! إنها فقط تعلم أننى أقوم بعمل سياسى ما ، وقد طلبت منها عدم سؤالى عنه أبداً ، وقد كانت تفعل ذلك بامثال» .

الرائد صلاح : « وما يُدريك ربما تكون جاسوسة عليك أنت شخصياً ؟ » .

لوتز : «مستحيل ! كنت سأعرف طيلة هذه المدة ، مستحيل ؟» .

سمير ناجى : «لنحضر فالترود ونرى إذن» .

وما هي إلا دقائق أغلق فيها جهاز البروجيكتور والكاميرا التي تقوم بتسجيل التحقيق وعرض صورة لوتز على جدار آخر بداخل الغرفة بحيث تكون ملامحه أكثر وضوحاً لسمير وصلاح . . ها هي فالتروود تدخل الغرفة بصحبة أحد الحراس وما إن رأت لوتز حتى ارتجت في أحضانه وبقيا دقيقة كاملة يتبادلان القبلات والأحضان حتى سمعا صوت سمير الأجش وهو يقول : «هيا . . لم نأت هنا لنشاهد معاً موعداً غرامياً، اجلسي بجانبه هنا . . هيا» .

الرائد صلاح بهدوئه المعهود : «هل ستعترفين الآن سيدة فالتروود بما أقره السيد لوتز؟ دعينا نكون أصدقاء طيبين معك» .

فالتروود تنفجر من البكاء وتقول بلهجة استهزاء : «أصدقاء طيبون بعد كل ماحدث» .

وهنا انتفض لوتز وقال : «سوف أقاضيكم إن كان قد حدث لها أي مكروه» .

نظر سمير ناجي للرائد صلاح وضغط على شفتيه ثم قال : «هيا يا لوتز لا تراوغ وأخبر السيدة فالتروود أن تعترف، هيا» .

لوتز : «وماذا بشأن خادمي الذي أسمع صراخه بشكل دائم في زنارتي، إنه لا يعرف شيئاً على الإطلاق، إنه مجرد خادم» .

سمير يباغته بلهجة حاسمة : «لا تراوغ» .

لوتز يتوجه إلى فالتروود قائلاً : «حبيبتى لا فائدة لقد عرفوا بأننى طيلة المدة الماضية كنت أتجسس لصالح إسرائيل» .



وهنا أطرقت فالتروود للحظات ثم همّت بالحديث بلامح أكثر هدوءاً، وكأنها كانت طيلة الأيام الماضية ترسم على وجهها أحاسيس وانفعالات مقصودة، وبدأت بالحديث، الذى لم يكن سوى تكرار مختزلاً لبعض ما قاله لوتز.

الرائد صلاح يقف فى نهاية التحقيق ويهمُّ بالانصراف وبعد خطوتين يلتفت لهما قائلاً: «غداً سيكون هناك لقاء تليفزيونى لكما تقومان فيه بالاعتراف بجريمة التخابر وبأنكما نادمان على ذلك، لوتعاونتما معنا سوف يكون لذلك أثر كبير فى طبيعة التعامل معكما بعد ذلك».

انصرف الرائد صلاح من الغرفة، وجاء الحارس وانتشل فالتروود من مقعدها إلى خارج الغرفة، وبقي لوتز مع سمير الذى كان يتوجس منه خيفة، فسمير على ما يبدو هادئ ولثيم، وهو الذى ضغط على لوتز فى ثيلته فى الهرم أثناء القبض عليه وأوصله إلى الاعتراق هناك، بعد أن أخرج له جهاز الإرسال المخبأ فى الميزان . . سمير يمارس مع لوتز لعبة العصا والجزرة . فتارة يمازحه ويقدم له القهوة والسيجائر، وتارة يمسك به من قميصه بعنف ويجعل صوته يتسلل إلى أعماق لوتز ليبتث الرعب ويكسر مقاومة هذا الأخير لخروج المعلومات منه . .

الآن ينظر سمير للوتز بعد أن أطفأ البروجيكتور واقترب منه، وأخذ بقميص لوتز إليه، وقال بصوت يشبه فحيح الأفاعى وبلكنة إنجليزية محترفة: «The Game is Over» .

وتابع كلامه بعد أن استدار وعاد إلى حيث يجلس، وأضاء جهاز البروجيكتور من جديد، وأعطى الأمر للكاتب أن يبدأ بالكتابة: «سنبدأ من جديد من الآن وحتى موعدك غداً مع التليفزيون، سأمحو كل شئ من رأسى، وأبدأ معك من جديد . . .



كانت الساعة تمام الحادية عشرة صباحاً فى أستديو تليفزيونى لا يبتعد كثيراً عن زنزانة لوتز سوى بضعة أمتار . . وعلى خلفية زرقاء اللون وأمامها طاولة بسيطة وضعت عليها بعض الزهور وحولها ثلاثة كراسى، جلس المذيع فى مواجهة لوتز والتروود، وبدأ العد التنازلى للتصوير ١، ٢، ٣ .



مقدم البرنامج:

سيداتي وسادتي، أهلاً بكم في هذه الحلقة الخاصة، والتي نقدم فيها إنجازاً جديداً للمخابرات المصرية التي نجحت في القبض على جاسوسين لإسرائيل، عملاً على إحباط دولتنا والوقوف أمام مشروعاتنا التقدمية ودعم ثورتنا لحقوقنا المشروعة. . .

« السيد لوتز، ماذا تقول للشعب الألماني؟ كيف كنت تُعاملُ من قبل السلطات؟ ».

وفى أداء يدعو للسخرية وحركة مسرحية، استدار قليلاً لوتز قليلاً للكاميرا وقال: «إننى نادم جداً على ما قمت به، وإننى أدرك الآن فقط أن ما قمت به لقاء المال لا يساوى شيئاً أمام هذه الفضيحة التى ارتكبتها والجرم الذى قمت به، وأنا منذ القبض علىّ لم ألق غير المعاملة الكريمة والقانونية».

وأطرق لوتز هنا قليلاً حيث بدا وكأنه يفكر فى أمر ما، ثم استطرد قائلاً: «إذا كان على الإسرائيليين إرسال جواسيس لمصر فعليهم أن يُرسلوا جواسيس إسرائيليين وليسوا ألماناً، وليحذر كل الألمان من ذلك فالحرية أثنى بكثير من أموال الإسرائيليين».

واستمرت الأسئلة فى اللقاء التلفزيونى مع فالترود، حيث أذيع فى اليوم التالى على تلفزيون الجمهورية العربية المتحدة للعالم كله، وبالطبع كانت أجهزة التسجيل المتابعة ترصد هذا اللقاء الذى استطاع لوتز من خلاله بمكر ودهاء إرسال رسالة للموساد يُعلمهم بما حدث، ويعطيهم المعلومة الأهم... فهو حتى هذه اللحظة يبدو فى نظر المصريين ألمانياً فاسداً، وليس إسرائيلياً يهودياً...

لقد كانت هذه النقطة تشغل بال سمير ناجى كثيراً لكن لوتز أثناء التحقيق أخبره بما لا يدع مجالاً للشك بأنه ليس يهودياً فهو غير مختون، لكن مبدأ الشك الذى يعتمد عليه الرائد صلاح فى عمله كان يُشعره بغير ذلك، إضافة للتقرير المفصل الذى أعدّه الرائد صلاح ورجال المخابرات المصرية المنتشرين فى برلين وباريس، وحتى فى تل أبيب، والذى يؤكد دياناته اليهودية... لكن صلاح لا يريد أن يُطلع سمير ناجى على ما لديه من معلومات حيث يريد أن تسير الأمور فى مسارها الطبيعى...



مرت ثلاث وثلاثون ليلة على لوتز بصحبة سمير ناجي المحقق الذي يخافه لوتز كلما انفرد به ولا يجد سبيلاً لراوغته وفي الوقت نفسه كان الرائد صلاح يعدّ لمقابلة مهمة ستجرى بعد لحظات مع الرجل الأول في المخابرات المصرية والذي كان يتابع كل شيء من مكتبه الذي يرتفع عشرين درجة من درجات السلم عن زنزانه لوتز قبل ترحيله مساءً إلى سجن القناطر حيث سيقم هناك هو وقالترود حتى تتم المحاكمة

بدأت الحياة كأسوأ ما تكون على لوتز وهو معصوب العينين منذ أن خرج من زنزانه وحتى وصوله إلى المكتب حيث أخبره الرائد صلاح بمقابلة شخص لم يذكر اسمه . . لوتز كان يعرف مواقع المكاتب والزنزانه وغيرها من خلال المدة الزمنية التي يقضيها في السير وكذلك عدد درجات السلم التي ينزلها أو يصعداها . .

يقف الآن لوتز في مكان ما من غرفة دخلها مع الرائد صلاح منذ لحظات ويتنظر أحدهم حتى يرفع العصا السوداء عن عينيه لينظر بعد ذلك فيرى ذلك الرجل الأصلع ، ويسمع الصوت الذي سمعه منذ عدة أيام ، لكنه لم ير المتحدث حيث كانت العصا على عينيه ، لكنه يراه الآن . . يحاول لوتز تذكر هذا الوجه المألوف له ، أوه لقد رآه من قبل في أحد فنادق القاهرة حيث كان يجلس على طاولة بعيدة وأخبره حينها صديقه اللواء يوسف العدل بأن هذا «صلاح نصر» رئيس المخابرات العامة المصرية . . .

قاطع صوت صلاح نصر أفكار لوتز وتركيزه قائلاً: «أهلاً بك يا لوتز ، تفضل بالجلوس» .

جلس لوتز على أحد المقاعد الجلدية الموجودة أمام المكتب الأنيق الفاخر ،

وتناول سيجارة من علبة سجائر رئيس المخابرات المصرية فى امتنان ثم أشعلها . . .

هناك لحظات من الصمت يتبادل الغرماء فيها الحوار لكن بطريقتهم . .
هكذا كانت الدقائق الثلاث التى قضّاها لوتز مع الرائد صلاح، وكذلك
صلاح نصر رئيس المخابرات العامة المصرية، والذى كسر هذا الصمت ووجه
للوتز قائلاً: «دعنا نجرى هذه الصفقة يا لوتز قبل رحيلك من هنا إلى
السجن، أنت تعلم أن والدى زوجتك كبيران فى السن وخاصة حماك فهو
مرضى ويمكن أن يتعرض لأذى وهو لا يحتمل».

لوتز: «ما المطلوب يا سيدى؟».

صلاح نصر: «اعتراف صغير بخط اليد، وطبعاً بلغتك الإنجليزية أنك كنت
تريد إلحاق الأذى بالعلماء الألمان من خلال الطرود البريدية التى تعرفها».

لوتز فى مراوغة يائسة: «أية طرود يا سيدى؟».

صلاح نصر: «أنت رجل بارع، لا تليق بك هذه المراوغات الساذجة
يا لوتز، هيا احسبها فى عقلك . . ولديك ثلاث دقائق».

بعد لحظات أعلن لوتز موافقته على ذلك وبدأ فى كتابة الاعتراف . .
وسارت الأمور كما هى حتى جاء المساء الذى كان يستدلُّ عليه لوتز وعلى
الصباح أيضاً من خلال الطعام الذى كان يردّه مع الحارس . . .

صوت الزنزانة وهى تفتح ويدخل سمير ناجى مع الرائد صلاح إلى حيث
يجلس لوتز على الأرض، ويقول له الرائد صلاح: «هيا إلى السيارة التى
ستقلك إلى سجن القناطر أنت وقاتلرود . . .

لوتز يقول بسخرية: «إذن حانت الفرصة لمغادرة هذه الزنزانة اللعينة» ويتابع بنظرة سميم ناجى الذى ينظر له بهدوء يتسرب إلى أعماق لوتز معه الخوف والرعب الدفين، لكنه سرعان ما ينهض أثناء تلك النظرات المتبادلة ويتجه إلى الباب ليغادر تلك الزنزانة التى أمضى فيها ٣٣ يوماً، وعند الباب وقبل أن يخرج النصف الآخر من جسد لوتز خارج الزنزانة، أمسكت، يد سميم ناجى بكف لوتز وقال له بهدوء مفزع: «ستقابل فى المحكمة؛ فى ساحة القضاء المصرى يا لوتز».

تصاعدت دقات قلب لوتز حتى كادت تخرجه عن صدره وهو يتجه بسرعة، معصوب العينين إلى خارج مبنى المخابرات المصرية فى سيارة السجن وبجانبه جلست قالتروود فى السيارة معصوبة العينين أيضاً. . فها هما يشمان الهواء البارد، والذى طالما حرما منه طوال الأيام الماضية. . مرت المدة التى قضياها فى السيارة إلى أن وصلا إلى بوابة السجن سريعاً، استطاع لوتز أن يعطى خلالها قالتروود بعض المشاعر التى حُرمت منها طويلاً فهى لا تدرى هل سيمتد هذا الحرمان مرة أخرى أم لا.

لكن لوتز أخذ يطمئنهما قائلاً: «لا تخافى فحتى الآن، نحن فى أقل الضرر، وقد علمت بأن والديك عادا إلى ألمانيا بعد أن أخلى سبيلهما.

بدأت السرعة فى التراجع تدريجياً للسيارة التى تقلهما، يبدو أنها على البوابة فها هى أصوات بوابة حديدية يسمعها لوتز تُفتح وتنطلق بهما السيارة مرة أخرى لبضعة أمتار. . ينزل لوتز وقالتروود بعد رفع العصاة السوداء عن عيونهما ليريا فضاءً كبيراً معتماً. . ويدخلا مكتبا على واجهته كُتبت لوحة صغيرة من الرخام وُضعت فى المقدمة تقول: «اللواء . كروئس» مأمور سجن القناطر.

رَحَّبَ ببارات بسيطة ذلك الرجل الذى يضع على كتفيه شارات ذهبية عبارة عن سيفين متقاطعين . . . وفى مقدمة الكاب الذى يلبسه على رأسه مزر كشات متشابهة، وأشار إلى رجلين يجلسان على أريكة فى طرف الغرفة قائلاً: «لديك ضيوف يا لوتز يودون التعرف عليك . . اتجه لوتز فى إعياء شديد تجاههما وصافح الأول الذى أخبره بأنه يُدعى «على منصور» من السفارة الألمانية وهو موكل بالدفاع عنه وهو أحد أبرز المحامين فى محاكم أمن الدولة فى مصر .

أما الآخر فكان يجلس ، لحين نظر إليه لوتز حيث قام بفرقة كعبيه على طريقة ضباط الجيش الألمان السابقين ووقف وصافح لوتز قائلاً: «أنا «هانز بيتر كراهل أبان» أصدقاءنا السابقون فى الحرب أوكلونى مهمة الدفاع عنك يا سيد لوتز وطبقاً لتقاليد الجيش الألمانى العريقة، فلقد وضعت مبلغاً من المال تحت تصرفك هنا . . سوف نكون إلى جانبك» .

وبإيماءة من لوتز الذى لم يخدم مطلقاً فى الجيش الألمانى ، عرف من أرسل هذا الرجل وتأكد من أن رسالته التى أرسلها للموساد عبر التليفزيون المصرى وصلت إليهم وبنجاح . . .

شكره بالألمانية لوتز وربّت على يديه حيث استطرد الرجل بصوت خفيض وبألمانية ريفية: «ليشى، يرسل لك سلامه الحار» .

وهنا اطمأن لوتز وبدأت علامات الرضا على وجهه ، ونظر لثالثه وغمز عينه التى فى مواجهتها بطريقة لم يره أحد من الموجودين فى مكتب مأمور السجن ، الذى طلب بدوره من الحرس اقتياد لوتز وثالثه ، كلاهما إلى زنازته التى ينتظر فيها حتى يحين موعد المحاكمة .



مقهى الصيرفى - الحسينية - القاهرة - ٦ مساءً

«اقرأ الحادثة . . . القبض على جاسوس جديد».

«شبكة من الجواسيس تستهدف العلماء الألمان».

«اقرأ الحادثة . . .».

دوّت هذه العبارات فى الشارع وعلى أسماع الجالسين فى المقهى، وبدأت التعليقات تنطلق من حناجرهم لتختلط بأصوات النراجيل، ولعبة الطاولة التى وضعت على أكثر من مكان . .

«جاسوس جديد بيتقبض عليه أهوه، علشان تعرفوا إن البلد ليها أعداء وفى ناس صاحية وشايفة شغلها» نطق بهذه العبارات كامل أفندى وهو على كرسيه المتحرك الذى لا يُفارقه إلا عند النوم فحسب ردّ عليه صديقه المخلص الذى كان دائم السؤال عليه وعلى أحواله، شحاتة هارون: «على الله مايكنش بيتجسس لصالح إسرائيل برضه، ما هى ملهاس شغلانة غير مصر»، وصاح على البائع وتناول نسخة من الأهرام وبدأ فى قراءة التفاصيل وبدأت علامات التعجب على وجهه لكن كامل أفندى صاح فيه قائلاً: «ما تعلّى صوتك يا شحاتة وتسمّعنى، إنت عارف إنى ما بعرفش أقرأزى الأول».

شحاتة هارون: «اسمع يا سيدى . . .».



كوبرى القبّة - ٦:٣٠ مساءً - مبنى المخابرات العامة

الهدوء والصمت يملآن غرفة متوسطة الحجم فى الدور الثانى ، أثاثها بسيط ، سرير للراحة المؤقتة يفصله عن المكتب ستارة صغيرة ، وعلى السرير كان الرائد صلاح يمدد جسده المنهك بعد عمل شاق مع ملف «لوتر» الذى استغرق منه خمس سنوات من العمل الشاق ومن متابعة لسيل من المعلومات والتقارير من خارج مصر وداخلها . . مع صوت طرقات الباب انتفض صلاح على سريره وأخذ مكانه المعتاد على مكتبه وأشار بالدخول قائلاً: «أهلاً بيك يا سمير» .

ثم أشار إلى الحارس بالانصراف . . وأخذ سمير موقعه المواجه لصلاح وبدأ بالحديث : «خير يا صلاح بيه؟ عايزين إيه تانى؟ ما خلاص بقه ، كل اللي طلبتوه عملته ، والفار فى القفص» .

قام الرائد صلاح ، ودار بهدوء وأشعل سيجارة لسمير حيث قدمها له بنفسه وجلس على الكرسي الثانى أمامه مباشرة وأخذ نفساً عميقاً وهو ينظر إلى سماء الغرفة ، وقال : «عندك قرايب أو إنت متجوز؟» .

سمير : «قصداً إيه؟» .

صلاح : «سؤالى واضح» .

سمير : «أنا مقطوع من شجرة ، بس عندى صحاب وأولاد حتى فى الحسينية ، وهمّ وحشونى . . جذران قهوة الصير فى . . ريحة الحسينية وأصوات الناس والبيّاعين ، وصوت الراديو ، وصوت الست ، وطبق الفول من عريية عمّ فرّاج . .» .

قالها سمير وهو يكاد يبكي هذه الأشياء، فهو يعيش كالميت منذ سنوات حيث بدأت كثير من الأحاسيس التي كان يطردها أو يهرب منها تتملكه هذه المرة، لكن صلاح ألقى به في عالم آخر من الأحاسيس والمعاني عندما وجّه نظره إلى عيني سمير وقال بصوت هادئ وودود: «يا سمير مصر كلها أهلك، وهى محتاجالك دلوقتى أكثر من أى وقت».

كانت هناك حروف معينة يقشعُرُ لسماعها جسد سمير منذ أن بدأ يعي معنى الكرامة والانتماء ومعنى الحب والجدنة التي تربّى عليها في منطقة الحسّينية حيث عاش هناك صباه بعد أن فقد أبويه منذ نعومة أظفاره.

هذه الحروف هي الميم والصاد والراء، حين تلتقى يكون أثرها على سمير كالابن الذى تتعرض أمه للخطر فيستجمع قواه ويحتشد حواسه للدفاع عنها...

هبّ سمير من مكانه وردّد ما قاله صلاح في نفسه وكأنه يُناجى شخصاً آخر داخله ثم صرخ في صلاح: «قولّى أعمل إيه حالياً وأنا موافق بدون تردد».

قام الرائد صلاح ودار مرة أخرى وعاد إلى كرسيه الدائم على المكتب، وجلس وأشعل سيجارة أخرى ونفث دخانها تجاه النافذة التي هي كل ما يربطه بالخارج منذ عدة أيام، ثم تناول ملفاً أزرق بجانب الملف الأسود الذى كان يحوى كل شيء عن لوتز، وقال لسمير: «انس كل اللي فات وركّز معايا فى اللي حقوله لك، فاكّر شو كولاته خادم لوتز»، أو ما سمير برأسه

قائلاً «طبعاً وده يتنسى» وهنا ابتسم الرائد صلاح وقال : «طيب اسمع بقه يا سيدى» . .



قاعة المحكمة - السابع والعشرون من شهر يوليو لعام ١٩٦٥ - القاهرة

احتياطات أمنية مشددة، الرشاشات الموجهة لمبنى المحكمة على أسطح البنايات المواجهة . . عدد من الضباط والعساكر المدججين بالسلاح يحيطون بالعربة التى ينزل على سلالها الخلفية «لوتز وفالترود وكيسو» .

إنه اليوم الأول من الثلاثة والثلاثين يوماً فى محاكمة هذه القضية، أحدث قضايا التخابر التى اعتاد النائب سمير ناجى التحقيق فيها وامتلك خبرة من خلالها وأنفأ تتوصل إلى ما هو مخبأً تحت الجلد .

اصطفّت عدسات التصوير الصحفية ومراسلو وكالات الأنباء الأجنبية على الجانب الآخر المواجه للقفس، والذى يطل من خلاله على القاعة لوتز وفالترود وكيسو، الذى تورط فى عدد من التقارير الاقتصادية التى كان يرسلها إلى ألمانيا من خلال مؤسسة مانيسمان التى كان يرأس فرعها هنا فى القاهرة، يعطى بعضها للوتز على سبيل الصداقة العمياء .

بدأ القضية الثلاثة الذين يرأسهم المستشار فهمى البدوى فى استعداد تام . . . القاضى الأول يراجع قائمة الأسماء التى طالتها هذه القضية، والتى

تزيد على المائة وعشرين اسماً من أصدقاء لوتز وكل من تعامل معهم أثناء سنواته الخمس ، وبالطبع اللواء يوسف العدل . . الذى نُكِّلَ به أشد التكيل حيث أقيل بشكل مفاجئ من منصبه كمحافظ وعُزل وطُرد من الشرطة - رغم ثبوت جهله بحقيقة لوتز وثبوت دوافعه الحسنة فى خدماته التى قدَّمها بدافع الصداقة والمنفعة أيضاً للوتز .

لكن المفاجأة كانت بتأجيل المحاكمة لمدة شهر آخر ، هكذا أعلن القاضى بعد عدة طرقات وانفض الجمع وعاد لوتز وقال لوتز وكيسو كلُّ لزنزانتة فى سجن القناطر .



وبعد شهر ، حضر الجميع فى الموعد المحدد وفى نفس المكان وبعد أن أخذ كلُّ موقعه وبدأ التوتر على وجه لوتز وقال لوتز ، وبدأ القاضى يتكلم بعد أن طرق عدة طرقات على المنصة وطلب الهدوء من الصحافة والمراسلين وقال : «أين السيد لوتز؟»

فقام لوتز من خلف القضبان قائلاً : «نعم أنا هو سيدى القاضى» .

القاضى : «بعد الاطلاع على ما جرى من تحقيق بشأن ما نُسب إليك فإن المحكمة توجه لك التهم التالية :

١ - التأمر بالقيام بالتجسس لصالح بلد عدو .

٢ - الاستمرار فى التجسس لصالح بلد عدو .

- ٣- التآمر لتقويض وإضعاف أمن الجمهورية العربية المتحدة وقواتها المسلحة .
 - ٤ - الإصرار على متابعة عمليات التجسس بهدف إضعاف أمن الجمهورية العربية المتحدة وقواتها المسلحة .
 - ٥ - ارتكاب أعمال غير قانونية بتحريض من بلد عدو ومصصلحة نفس البلد في حربه مع الجمهورية العربية المتحدة وحيازة مواد متفجرة خطيرة .
 - ٦ - القيام بإرسال خطابات تهديد لجنسيات أجنبية تعمل لدى الحكومة المصرية .
 - ٧ - إرسال خطابات تحتوى على مواد متفجرة لجنسيات أجنبية تعمل لدى الجمهورية العربية المتحدة .
 - ٨ - التسبب فى إلحاق إصابات بالغة لأفراد يعملون لدى الحكومة المصرية من جنسيات أجنبية ومصرية أيضاً .
 - ٩ - الشروع فى قتل جنسيات أجنبية ومصرية أيضاً باستخدام مواد متفجرة خطيرة .
 - ١٠ - حيازة المفرقات .
- واستطرد القاضى قائلاً: «هل تسلمت نسخة من الاتهامات الموجهة إليك؟ وهل قمت بقراءتها وفهمت هذه التهم العشر الموجهة إليك؟» .
- لوتز: «نعم يا سيادة القاضى»؛ قالها بالإنجليزية التى دار معظم الاستجواب بها كلغة مشتركة .

PROGRAM

We call daily at 0400 S.M.T. (Summer) or at 0500 S.M.T. (Winter) on freq 6500 (A)
We listen to you daily at 0400 S.M.T. (Summer) or at 0500 S.M.T. (Winter) on freq 6500 (A)
and at 1100 S.M.T. (Summer) or at 1200 S.M.T. (Winter) on freq 6500 (A)

PROGRAM

In addition to the A/S schedule we listen to you also at 1300 S.M.T. (Summer) and at 1345 (Winter)
on freq 6500 (A)

LIST OF PARTICIPANTS

NAME	CALL SIGN (Frequent)	PHONE
5520 (A)	4 L P	6560 (A)
6406 (P)	3 A J	6480 (B)
6505 (C)	9 V A	6295 (C)
7210 (B)	4 H 1	6590 (D)

YOUR CALL SIGN : 2 ltrs = date, 3rd ltr = strength, 4th ltr = how many words for name.

YOUR First QR = 2 ltrs = QR, 3 ltrs = Name, Second QR = Name, Third QR = 2 ltrs = Name.

3rd ltr = Name, 2 last ltrs = QR name 3 QRs must be typed at the end of msg (different ltrs).

QR First QR = Name, Second QR = 3 ltrs = QR, 4th ltr = Strength, 5th ltr = spin last figure = QR.

Q U X Z = In case you do not hear us on freq (Q), ask to change over to another freq (to the ltr).

القاضي : « ما هو ردُّكَ؟ هل تجد نفسك مذنباً؟ ».

لوتز : « أجد نفسي مذنباً في الاتهامات الستة الأولى وغير مذنب في الأربعة الباقية ».

وهنا انتفض المراسلون والصحفيون الأقرب في وسيلة لاتصال بصحفتهم لإبلاغهم بهذا الاعتراف حيث كان ذلك الشغل الشاغل للرأى العام المصرى والعالمى وبما سيعكسه من أثر على علاقة مصر السياسية بالمانيا الغربية التى لم تكن فى أفضل حال . . . لكن الطرقات الخشبية تُعيد الهدوء مرة أخرى للقاعة ، واستمرت نفس الأسئلة ونفس الإجابات من لوتز وبعد

أن تمَّ الاتفاق على عدم ذكر أسماء الضباط إلا في قاعات المحاكمة السرية . . .

وبدأت الأدلة في الظهور، فيها هو جهاز الإرسال السري اللاسلكي، وبدأ لوتز يشرح للقضاة كيفية عمله هو ودفتر الشفرات وهنا يصرخ سمير ناجي «دون تفاصيل يا لوتز».

ويؤكد القاضي رئيس الجلسة: «لو سمحت دون تفاصيل، جاب فقط على الأسئلة واستبق هذه التفاصيل في الجلسات السرية فهناك صحافة ووكالات أنباء موجودة في القاعة».

وهنا لوح سمير ناجي بورقة في يده قائلاً: «قبل ذلك يا سيادة القاضي أريد أن أقدم لعدالتكم دليلاً جديداً».

القاضي: «اتفضل يا سمير».

سمير: «هذا خطاب وصلني من شخص ما من ألمانيا لا أستطيع ذكر اسمه وهو يخصُّ المتهم لوتز . . . وسوف أقرأ عليكم ترجمة له بالعربية».

الخطاب مؤرَّخ بـ ١٢ يوليو ١٩٦٥

«لقد ناقشنا مع البروفيسور بيلز منذ أسابيع ما سمعناه عن قضية لوتز وهو بالإضافة لجنسيته الألمانية فإنه يحمل الجنسية الإسرائيلية، وقد علمنا أنه وُلد في مانهايم ١٩٣١ وفي عام ١٩٣٣

هاجر مع والدته إلى فلسطين وقد خدم هناك فى الجيش
الإسرائيلى . . . » .

وهنا صرخ لوتز بهستريا : « هراء . . هذا كذب فى كذب ، إنها
لعبة جديدة من الادعاء . .

قاطعہ القاضى بطرقاته قائلاً : « اسكت ولا تتحدث إلا عند
السماح لك . استمر يا سمير » .

واستطرد سمير : « لقد علمنا بوصول مسئول إسرائيلى رفيع المستوى إلى
هامبورج منذ بضعة أيام فى محاولة لمنع نشر هذه المعلومات فى الصحف
وخاصة فى صحيفة «ديرشيرنزاس» والتى وافق رئيس تحريرها على عدم نشر
ما قام به الصحفى «فولفجانج لوهدى» من جمعه لمعلومات عن لوتز ، بهدف
إخفاء ماضى لوتز وخاصة جنسيته . . . سيدى القاضى قد تكون هذه
المعلومات معروفة لديكم لكن من واجبى ذكرها أمام لوتز حتى يعترف
بأسماء من قاموا بإرسال طرود البريد المتفجرة للبروفيسور بيلز ومساعديه » .

وهنا ربت لوتز على يد فالتروود بقوة وطلب منها أن تتماسك ولا تتظاهر
بحقيقة مشاعرها تجاه الموقف المتأزم ، وقام بتصنعُ الابتسامة متمماً لفالتروود :
« إذا صدّقوا هذا الكلام ، فإنها النهاية » .

وهنا طلب محامى الدفاع على منصور الكلام قائلاً : « يا سيادة
القاضى . . إنها إشاعة ، وإذا كان ذلك صحيحاً فترسل المحكمة فى سؤال
من أرسل هذا الخطاب شخصياً وعليه أن يُقسم على صحة ما يقول » .

القاضي : «ربما لا نستطيع أن نظهره أمامكم لكن على أية حال ترغب المحكمة فى أن تسأل المتهم بهذا الشأن، يا سيد لوتز هل فهمت فحوى هذا الخطاب؟» .

لوتز : «ليس بالضبط، فأنا لا أتقن العربية، لكن اسمح لى أن ألقى نظرة على النسخة الأصلية المكتوبة بالألمانية» .

وهنا صرَّح سمير ناجي : «عدا التوقيع يا سيادة القاضي، فلقد وعدت المخبر بأن يكون اسمه سرِّياً للغاية» .

وهنا قام القاضي بطى التوقيع إلى خلف الورقة وسمح للوتز بقراءة الخطاب وبعد لحظات قال لوتز : «هذا كذب فى كذب، أعرف أن المستشار القانونى لمجموعة بيلز هو الدكتور ألفريد سيدل المكتوب اسمه هنا إلى أعلى الصفحة، الحقيقة الوحيدة فى هذا الخطاب أننى مولود فى مانهايم والباقي كذب» .

القاضي : «هل ذهبت إلى إسرائيل ولو مرة واحدة؟» .

لوتز : «نعم كانت مرة واحدة ولمدة ستة أيام فى بداية ١٩٦٣، كان ذلك بعد مقابلتى لجوزيف فى باريس الذى طلب منى السفر لإسرائيل لمقابلة رجل يدعى «ب رومى ير» كان لقاءً عادياً وسط طعام عشاء . . أسئلة عادية من ذلك النوع، ما الأحوال فى مصر، من هم أصدقاؤك؟» .

القاضي : «استمر . . وماذا فعلت خلال الأيام الأخرى؟» .

لوتز : «ذهبت فى سياحة لعدة أماكن مع رودى» .

القاضي : «هل زرت حيفا؟» .



لوتز: «نعم . كانت زيارة سريعة» .

القاضي : «هل حصلت على الجنسية الإسرائيلية هناك؟» .

لوتز : «بالطبع لا» .

القاضي : «وما هي مصلحة هؤلاء في الكذب عليك؟» .

لوتز : «إنهم يريدونني أن أشنق» .

القاضي : «من هم؟» .

لوتز: «سأذكرهم واحداً واحداً».

وهنا قاطع الادعاء بطلب إحالة ذلك لجلسة سرية...

تحوّلت المحاكمة إلى جلسة سرية وأثناء توجه القضاة مع لوتز وسمير إلى قاعة أخرى، اتجه على منصور محامى لوتز إلى هذا الأخير وطلب منه أن يتحدث معه بشأن هذا الخطاب لكن لوتز ردّ عليه متجهماً: «حسنًا اسمعنى يا منصور، لماذا لا تتحرك لماذا لا تخبر القضاة وتقنعهم بأن هذا الخطاب ملفّق؟!».

على منصور: «بالطبع سأفعل، لكننى بصفتى محاميك أريد أن أعرف الحقيقة».

هزّ لوتز رأسه متمتماً: «يا لك من نجس محتال ذى وجهين، لقد أوقعك سمير ناجى فى مصيدته». وهنا وصل الجميع إلى الغرفة، وصرخ لوتز فى وجه محاميه على منصور: «قلت لك كله كذب فى كذب، أنت أسوأ من سمير ناجى».

ودخل لوتز الغرفة، وأخذ مكانه على طاولة مستديرة مع باقى القضاة وبحضور سمير ناجى الذى قدّم للوتز كأساً من الليمون البارد، وبدأ القضاة فى خلع الجواكت مع ربطات العنق والتخفف فى ذلك الجو الحار... وبدأت الجلسة السرية.



برلين - ١٥ أغسطس ١٩٦٥

فى حانة قديمة كانت دقات الساعة فيها تعلن تمام السادسة مساءً حيث جلس على طاولة كبيرة رجل فى منتصف الخمسينيات من عمره يلبس قبعة، ويضع خلفه معطفًا كبيراً قد خلعه، وعلّقه على ظهر كرسيه ووضع كوفيّة بعد أن قام بطيّها على الطاولة أمامه . . بدا واجماً وعلامات أحداث شاقة مر بها فى عمره قد تركت بصمتها على ملامحه، خاصة تلك الندبة أسفل ذقنه . . وماهى إلا لحظات حتى دخل ثلاثة رجال بأحجام وأعمار متشابهة وجلسوا على نفس الطاولة بعد أن تبادلوا التحية المعتادة لضباط الجيش الألماني . . «الموت لهتلر».

بدا التوتر والقلق على وجوه الجميع وقال أحدهم: «بالتأكيد قرأتم عدد «الديرشبيجل» اليوم . . لقد نال منا ذلك اللوتر اللعين».

أجابه الرجل ذو القبعة: «صديقنا هانز هل تتذكرونه - كان فى الفرقة الثانية مشاة . . إنه يعيش الآن فى كولون شرقى ألمانيا وهو بعد ربع ساعة من الآن سيصل . . يبدو أن لديه أخبار عن ذلك اللوتر . . لنتظره ونشرب نخب نباحنا وحياتنا السرية التى نعيشها الآن».

قلّة هم من استطاعوا البقاء فى ألمانيا الشرقية أو حتى الغربية من ضباط الجيش النازى وقياداته، خاصة الخبراء فى مجال صناعة الطائرات أو الصواريخ أو الأسلحة البيولوجية . . ومنهم من استطاع الهرب والعمل فى الدول الصديقة فى الشرق الأوسط أو فى أمريكا اللاتينية خوفاً من ماضيه الدامى . . حيث كانت محاكمات «نورمبرج» تقضى عليهم الواحد تلو الآخر.

ومن لم يُفلح فى السفر، استطاع التخفى والعيش فى الريف الألمانى بعد أن ساعدته الأقدار فى استخراج شهادة الوفاة أو فى سقوط اسمه من قائمة المطلوبين للعدالة، بعد دفع رشوة كبيرة للمحققين . . .

هاهى ربيع الساعة تمرُّ، وها هو باب الحانة يُفتح على مصراعيه ليدخل رجل بدت عليه علامات السفر وآثار المطر واضحة على معطفه الجلدى الذى كان يلبسه . . وقف أمامهم فى آخر الطاولة ورفع يده بالتحية لهم «الموت لهتلر»، ردَّ الجميع عليه وجلسوا جميعاً ومضت بضع دقائق فى عبارات متبادلة عن ذكريات الحرب وتلك المواقف التى يبيكها المحاربون القدامى، وجاءت سيرة لوتز، ونظر الجميع لصديقهم هانز ليسمعوا آخر الأخبار . . .

هانز: «يارفاق . . إن مدينة كولون أصبحت الآن مقراً جديداً للعمليات السرية الإسرائيلية، لقد استطاع أحدهم بنفس الحيل القذرة التى تعودوا عليها، الحيلولة دون نشر أخبار الجاسوس لوتز فى جريدة «دير شتين» الأسبوعية . . وهاهى الأخبار التى كان من المنتظر أن تُنشر . . اسمعوا». «إنه إسرائيلى قذر، هاجر مع أمه فى عام ١٩٣٣ حيث عاشا معاً حتى عام ١٩٤٨ عندما تأسست الدولة الإسرائيلية . . وخدم هناك فى الجيش الإسرائيلى وكان برتبة ملازم ثان».

وهنا بدأت الأصوات ترتفع: «أوه . . لقد خدعنا».

ويردُّ أحدهم: «إن معظم الرُتب العليا النازية لم تبق فى ألمانيا هرب من حرب وحوكم من حوكم وانتحر من انتحر، لكن ذلك اللعين كان يتنقل بحرية وبثقة».

رجل آخر يقول بصوت عال: «ذلك اللعين، إنه لا يتكلم الألمانية ولكنه رهنلاند حيث وكذ ولكتته الإنجليزية لا تشبه الألماني عندما يتحدثها، الآن فهمت، لقد خدعنا».

هانز: «لقد نال من بعض رجال بيلز رفيقنا، خبير محرك الطائرات. . لكنني أرسلت له هدية إلى هناك إلى مصر حيث يُحاكم الآن. . إنه خطاب كفيل بإرساله إلى جبل المشنقة».

أحدهم: «لكن برأيك يا هانز لماذا يسعى رفاقه الإسرائيليون في حجب نشر مثل هذه المعلومات هنا في ألمانيا».

هانز: «إنهم يحاولون إلصاق التهمة بنا لإفساد علاقاتنا بأصدقائنا المصريين، لبدأ الشك في كل من هو ألماني هناك أما العصفور الثاني الذي سيصطاده هؤلاء الخبثاء هو إبعاد لوتز عن كونه إسرائيليا. . لربما حكم عليه بالسجن المؤبد بدلاً من الشق وهنا تبدأ عملية المساومة أو تهريبه، ولن يُعدم هؤلاء الأشقياء الوسيلة لذلك».

ساد الصمت والغضب الحاضرين وهنا بدأت موسيقى الرايخ تملأ في الحانة، وبدأ جو آخر يسود المكان واختلطت الأصوات العالية مع الرقص مع الشراب وهرب الجميع من ذلك الجحيم الذي أصبحوا يعيشون فيه منذ عدة سنوات وبدأت كلمات الأغنية الشهيرة ترتفع في سماء الحانة والتي كان يرددوها هؤلاء في طريقة حماسية في سنوات الجيش النازي فيما مضى. .



١٦ أغسطس - العاشرة صباحاً - دار القضاء العالى - القاهرة

وقف جميع من فى قاعة المحكمة بمن فيهم لوتز وثالتروود وكيسو فى القفص، النائب العام سمير ناجى احتل مكانه فى الجهة اليسرى للمنصة، محاميا الدفاع المصرى على منصور والألمانى كراهل أبان ضمن الجلوس داخل القاعة، وهناك مجموعة من الطلبة من مدرسة السعيدية الثانوية تتابع وقائع وجلسات المحاكمة منذ بدأت فى الشهر الماضى، عدسات الصحافة ووكالات الأنباء فى الجهة المقابلة فى الخلف لترصد ردود أفعال لوتز ومن معه . . .

عدة طرقات . . أشار القاضى المستشار فهمى البدوى للحضور جميعاً بالجلوس معلناً بداية يوم جديد من أيام محاكمة لوتز . .

«الشاهد التالى»

نطق بذلك رئيس المحكمة، وهنا ظهر أمام المنصة، ضابط فى الجيش، أدى التحية العسكرية وبدأ فى شرح مدى وطريقة عمل جهاز الإرسال الخاص بلوتز حيث كان يخدم فى سلاح الإشارة بالقوات المسلحة .

«الشاهد التالى»

أخذ مكانه أمام المنصة، هو الآخر ضابط بدأ فى شرح طريقة فك الشيفرة وما جاء فى رسائل لوتز من معلومات .

«الشاهد التالى»



بدأ فى وضع المتفجرات التى عُشر عليها فى حوزة لوتر فى شكل قطع صابون اللافتندر أو أقلام صغيرة أو أغلفة خطابات بريدية .

«الشاهد التالى»

هذه المرة مواطن عادى يظهر من بين الصفوف ويقول : «أيوه يا فندم . . أنا كامل أحمد على الشهير بكامل أفندى» .
القاضى : «قول شهادتك يا كامل أفندى» .

كامل أفندى : «أنا موظف فى البريد - فرع العتبة . . فى يوم بوزع الطرود البريدية كالعادة ، فلفت انتباهى طرد مكتوب عليه عنوان خِواجة ساكن فى مدينة نصر ، وطبقاً للتعليمات يا فندم . . وهنا قاطعه صوت القاضى : أية تعليمات؟» .

ظهرت علامات الحرج على وجه الرجل لكن عبارة سمير ناجى التى نطق بها فى أذنى القاضى رفعت عنه حرج الإجابة ، بعد أن أشار القاضى لكامل أفندى بالاستمرار فى الشهادة . . وسرد القصة حتى انتهى قائلاً : «وها أنا أقف كما ترى يا سيادة القاضى أمامكم وقد فقدت عيني اليسرى ويدى اليمنى» .

«الشاهد التالى»

ومع ظهوره بدأ من فى القاعة فى الانصراف من الحاضرين ورجال الإعلام . . كان يحمل رتبة رائد فى الجيش . . احتل مكانه أمام المنصة فى رشاقة وحيوية وحيًا المحكمة .

القاضى : «ما هى مهمتك؟» .

الرائد : «أنا أمثل وزارة الحربية يا فندم» .

القاضى : «ما هى إثباتاتك فى هذه القضية ودلائلك؟» .

الرائد : «مهمتى كانت قراءة وتحليل المعلومات الموجودة فى الرسائل التى بعثها أو استقبلها لوتز» .

القاضى : «وايه النتيجة؟» .

الرائد : «أغلب الرسائل يا فندم تحتوى على معلومات سرية وسرية للغاية متعلقة بالأمور العسكرية والسياسية وتقييمى لهذه المعلومات خاصة العسكرية أن ٩٩٪ منها صحيحة يا فندم» .

القاضى : «ما مدى الضرر الذى سببته هذه المعلومات للبلد؟» .

الرائد : «من الصعب الحكم بدقة على مدى الضرر لكن على أية حال الضرر كبير جداً يا فندم ولا يمكن تخيُّله» .

وهنا نظر لوتز لمحامييه على منصور متعجباً وهو يقول لثالثرود : «لماذا لم يعترض هذا المحامى اللعين هذا الشاهد!» .

ثالثرود : «هل تريد منه أن يقلل درجتين أو ثلاث؟ لا توجد هناك فائدة» .

وارتفع صوت القاضى متسائلاً : «يا سمير هل بقى هناك شهود؟» .

سمير ناجى : «لا يا فندم لكن أستأذنك أننى سوف أبدأ فى تلخيص القضية للدعاء غداً صباحاً» .

القاضى «ماذا عن الشهود الألمان الموجودين فى القائمة؟» .

سمير : «لن يأتى أحدٌ منهم فقد أرسلوا خطابات من ألمانيا بعد أن عادوا إليها يقولون فيها بأن ضغوطاً تمنعهم من المجيء» .

القاضى : «إذن سنكتفى بما قدم من الشهود، تؤجل الجلسة إلى الساعة التاسعة صباح الغد» .

«رُفعت الجلسة»

دوى الصوت فى القاعة وانخفض الجميع ومضت الساعات فى ببطء شديد على لوتز وقالترود وصاحبهما فرانز كيسو، ولكنها مضت سريعة على سمير ناجى الذى لم تذق عيناه النوم حيث بات منهمكاً فى كتابة ملخص القضية بأدبياته المعروفة وأدائه المسرحى الذى اشتهر به فى قضايا التخابر الماضية .



١٧ أغسطس ١٩٦٥ - دارالقضاء العالى - القاهرة

يبدو أنه يوم من الأيام المشهودة . . . فيها هى العربات المصفحة أمام مبنى المحكمة وها هم نفس القناصة أعلى العمارات المتاخمة للمحكمة وها هم عشرات الضباط والجند المدججين بالسلاح والذين يحيطون بلوتز وقالترود وكيسو، وهم يصعدون درجات السلم الخارجية لتقرب ساعة الصفر . . .

بدا سمير ناجى وكيل نيابة أمن الدولة من وراء الحجب للجمهور الحاضر وعيناه تبرقان بريق النصر وخطواته تتقدم نحو موقع الادعاء، ويأخذ الإذن لبداية مرافعته فى أحدث قضية من قضايا التخابر التى مرت عليه حتى الآن . . .

«سيدى القاضى، حضرات السادة المستشارين :

من أعلى صعيد الخيانة، ومن ذروة قمم الغدر ومن أحلك متاهات الضلال، جئنا اليوم بهؤلاء الأشخاص الثلاثة الماثلة . . . نماذج عز علينا أن نجد لها فى تاريخنا مثيلاً وسيمضى بنا تاريخ طويل حتى تتكرر تلك

الصور . . . إن عادت البشرية أدراجها لتجسّد الخيانة والغدر والضلال ففي اعتقادي أنها لن تجد نموذجاً خيراً من لوتز . . . آية ذلك أن صفوة السّفاحين المتخبين للغدر في العالم أجمع والمتمثلين في صهيانة إسرائيل أثبت قمتهم، وهي المخابرات الإسرائيلية، إلا أن تتشرف بدعوة لوتز لما قام به من إثم ولما سأذكره من أدلة وخلاصة لما ورد في أكثر من ألف وثمانمائة صفحة من التحقيق المستفيض مع هؤلاء . . . » .

وشرع سمير ناجي وكأنه شيشرون يقف من جديد في ردائه أمام جموع اليونانيين . . . بحركاته المسرحية ولغته الفصيحة وكلماته المكتنزة اللاذعة يشرح ويلخص . . . وعلامات القلق تتصاعد على وجه لوتز واثار التروود وكيسو . . . ولا يزال صوت سمير يزلزل القاعة ويخطف أسماع وأبصار الحضور ويجتذب عقول وأفئدة المنصّة . . . حتى وصل إلى قوله :

«تقرّب إلى مجموعة من العلماء الألمان موهما إياهم بالصدّاقة . . . آمنه الرجال . . . وما إن تبدو للوتز حقيقة وأهمية ما يعملون لأجله، حتى انطلق يبعث لمنظّمته بكل المعلومات حتى نوافذ مسكنهم ذكر لهم لونها . . . لتهتز موجات الأثير بينه وبين تل أبيب حاملة مخطط الغدر وسفك الدماء . . . » ، وهنا وقف لوتز على قدميه ممسكاً بقضبان القفص وهو يصرخ صرخة مكتومة . . . لو نطق بها كادت أن تصمّ الحاضرين . . . وتقف فالتروود وتعانق لوتز وعيناها مملوءتان بالخوف والرعب . . . أما كيسو فقدماه لم تُسعفاه للوقوف، وبدأت قطرات بوله تسيل على الأرض، معلنة فرارها من جسد يملؤه الفزع . . .

وهنا وصل سمير ناجى إلى قوله : «وهكذا هى أخلاق الصهاينة»- هكذا تمضى قيمهم متمسكين بما نادى به البروتوكول الأول من بروتوكولات حكماء صهيون «إن جواز المرور فى الدنيا هو القوة والكذب والادعاء مضيفين إليه العهر والدعارة»، وها هى المتهمة الثانية . . تلك الرقطاء الناعمة معسولة الهوى مدلهمة فى حب الإثم، متبتلة فى عشق الهوان، لا محبة لديها لوطن ولا قيمة عندها لأهل، ولا لشيء إلا لتستمر فى صلواتها لإله الخيانة والضلال فى هيكल الحرام حارقة له الشرف بخوراً . . والمثل والقيم أريجاً . . اسمعوا لإجابتها إذ تُسأل عن داعيتها للاستمرار معه بعد أن كشف لها ما يقوم به من غدر لمواطنيها . . .» . . .

وهنا بدأت ترمى قائلترود نفسها بقوة داخل القفص من اليمين إلى اليسار كنمرة أصابها الجنون، وتستمر الكلمات فى الكشف . .

القلوب الحاضرة تغلى وتكاد تقفز من الصدور لتقتصم من فى داخل القفص . . .

وهى الأنفاس يلتقطها سمير ناجى ويمسح عرقه المتصبيب ويستأنف شرحه وتحليله وضع القرائن والأركان المادية والمعنوية لجرائمهم العشر المنسوبة إليهم حتى وصل إلى المادة ٧٧ ج وهى جريمة التخابر لمصلحة دولة معادية للحصول على معلومات حربية، وهنا، وفى براعة استهلال، قال سمير ناجى :

«سيدى القاضى . . حضرات السادة المستشارين . . الركن المادى لهذه الجريمة هو التخابر ويراد به التفاهم فى مختلف صوره، سواء حصل ذلك شفاهة أو كتابة، صريحاً أم رمزاً، مباشرة أو بالواسطة . . وليس بلازم أن

يتكرر التخابر، بل يكفي لتمام الجريمة فعل واحد، ويحصل التخابر مع الدولة الأجنبية، أو مع شخص يعمل لمصلحتها، ولو لم تكن له صفة رسمية في علاقته بتلك الدولة.

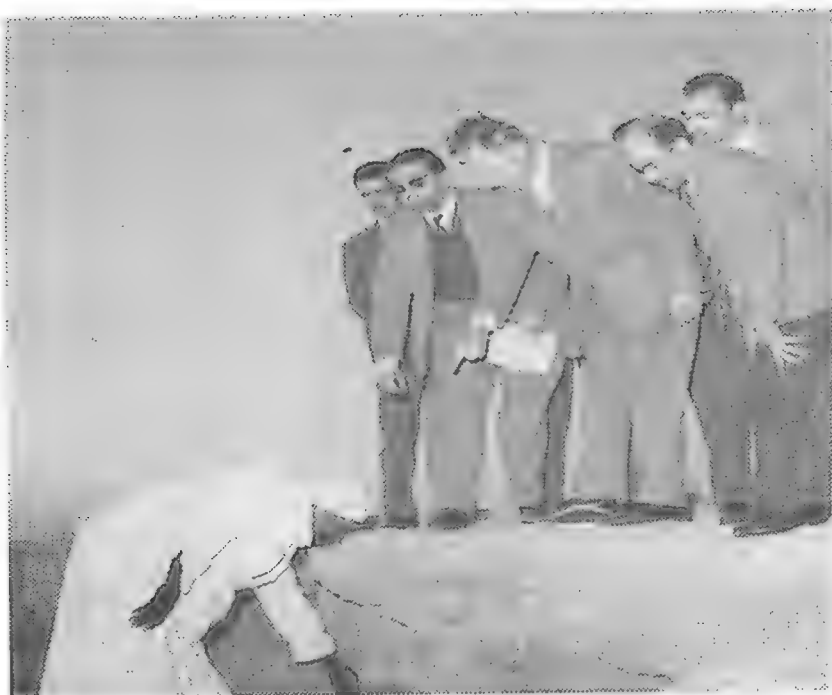
أما الركن المعنوي فهو القصد الجنائي من معاونة الدولة الأجنبية المعادية ولا شك أن من أقوى الأدلة التي تُساق دليلاً على هذا القصد أن يكون السعى أو التخابر هو لصالح إسرائيل مما يدل بذاته على قصد الجنائي الإجرامي إذ نحن في حالة حرب معها . . .

سيدى القاضى . . حضرات المستشارين :

وفي حق المتهمة الثانية فأمرها واضح فهي قد أقرت بأن المعلومات التي كانت تقاسم زوجها في جمعها لن تهم إلا دولة معادية لمصر، وأن إسرائيل هي عدوة مصر الأولى . . . وما كانت مرافقتها لزوجها في رحلاته الاستطلاعية إلا سعيًا وتخابرًا يكتمل به الركن المادى فضلاً عن توافر الركن المعنوي كما أسلفنا . . .

سيدى القاضى . . حضرات المستشارين . . وأخذ سمير ناجى يُلوح بحقيقة صغيرة فى الهواء، ليراها جميع من فى القاعة، خاصة لوتز، وهنا جثا هذا الأخير على ركبتيه وقال بصوت مقتول لثالثرود: «لقد انتهينا، لقد وجدنا هذا الثعلب».

وبإبتسامة من سمير ناجى استمر قائلاً: «هذا هو دليل الجريمة السابعة وهى استعمال المفرقات، والتي ينكرها لوتز وزوجته، فلقد قام بدفنها فى الصحراء عند مكان مميز حتى يستطيعا العودة وأخذ ما فيها من متفجرات وقتما شاءا أثناء رحلاتهما المتكررة إلى الإسكندرية بالطريق الصحراوى».



«سيدى القاضى . . لقد وصلت إلى النهاية من بعد طول مطاف» . . .
وهنا قاطعه القاضى قائلاً: «يا سيد سمير سنرفع الجلسة لبضع دقائق
للراحة» .

انتفض الجميع من لهيبين؛ لهيب الجو الحار، فنحن فى عز أغسطس،
ولهيب المرافعة العصماء، بكلماتها التى تشبه القذائف، والتى كانت تصل،
عبر الأثير، مباشرة لتل أيب . . وتابعها كبار الشخصيات . . .



مضت دقائق الاستراحة وعاد كلٌّ إلى مكانه وها هو سمير ناجى يمر أمام القفص ويرسل ابتساماته إلى لوتز وقاتلرود قائلاً بالإنجليزية وبصوت خافت : «Good Luck» ثم يمشى إلى مكانه وتبدأ الطرقات ثم تبدأ كلمات الادعاء . . .

«سيدى القاضى . . حضرات المستشارين :

إن لوتز وإن ابتغى بنا سوءاً، ربما كان هناك مجال لرحمته، إن كان قد رعى صوت الأم فى جوفه . . أما وقد وأد هذا الصوت وسفك دماء بنيتها ورمى الدولة التى استضافته بأحجاره ومفرقاته لقاء مال هو دينه وقبلته وعلمه ولواؤه . . فأظنه قد صار فى مقام تحب فيه القسوة؛ لأن الباعث الذى تحرك على هديه مجردٌ من اعتبارات الشرف . . .

أما زوجته المتهمة الثانية قاتلرود، فعلَّتها أنها تحبه، تحبه أكثر مما تحب مواطنيتها . . تحبه على علم منها بإجرامه وفُجره . . .

أتلك محبة؟ أيرضى الحب أن يُنسب إلى ما هو شر وإثم؟ الحب جمال لا ينسب إلا للخير . . من الحرام أن يوصف ما بينهما بأنه الحب، ليصفوه بأى وصف غريزى . . ولكن حرام، أن يصفوه بأى وصف وجدانى . . فالوجدان لديها قد احترق، وأعدماه . . .

نفس ركبت على الشر، فانطلقت تبحث لها عن أليف، وفى غمرة ضلالتها وفى حلكة سوادِ طريقها وجدت من هو أتم سواداً منها . . .

إن سُمى الإثم حباً فأى فضل للبراءة؟

وإن سُمى الدنس حباً فأى فضل للطهارة؟

وإن سُمِّي الغدر حباً فأى فضل للصفاء؟

وإن سُمِّيَت الخيانة حباً فأى فضل للوفاء؟

إن ذكروكم بالرحمة، فذكروهم بالضحايا . . .

بحق نور تلك المقل التي أطفأ فيها نور الحياة . . .

وبحق هؤلاء الذين تركوهم أجساداً متحركة بلا حياة . . أسألكم

القصاص . . أسألكم القصاص . . لا باسم الضحايا فحسب . . ولكن باسم
الوطن ومقدساته . .

باسم وطنكم الذي أنبتكم ونشأكم ورواكم حتى صرتم قضائه . .

القصاص ولا حياة لهذا الوطن إلا بالقصاص . .

أما من حركهما وبعث بهما إلى هذه الديار ليثخننا فيها كل هذه الجراح . .
فلهم يومهم وستشهد تل أبيب محاكمتهم كما شهدت من قبل نورمبرج
محاكمة أعداء الإنسانية ومشوحيها . .

لست بالحالم ولا بالمخلق في آفاق الخيال . . .

إن محاكمات تل أبيب آتية لا ريب فيها . . إنها ليست نبوءة عرّاف ولا
دجال . . إنما هي حقيقة يُحْتَمُّها الحق والتاريخ . . كل ما أسأل الله فيه أن
يمتد بنا الأجل جميعاً لنشهد هذه المحاكمات . .

وهنا تزامن التصفيق الحاد من القاعة التي باتت على قلب رجل واحد مع
عدسات الصحف ومراسلي الوكالات الأجنبية الذين يلتقطون صوراً لأداء

سمير ناجى وردود أفعال وشحوب لوتز وثالترود وكيسو الذى لم يخاطبه
سمير ناجى فى مرافعته المطوّلة . . .

عادت الطرقات من جديد لتعيد الحضور إلى رشدهم، فأعينُ الطلبة
شاخصة إلى رموز القاعة بعباءاتهم، أكثر من عاصمة تتابع وقائع الجلسات
وفى انتظار الحكم، احتمالات قطع العلاقات مع ألمانيا الغربية باتت
قوية . .

وهنا ارتفع صوت القاضى قائلاً: «يؤجل الحكم يومين اثنين لإعداد
الالتماس، رفعت الجلسة» .

وبدأت فرق الحراسة فى محاصرة القفص الذى كانت تتدافع أمامه
عدسات التصوير الصحفى لتختلس صورة قريبة للوتز ولوالترود معاً . . .
وبدأ سмир ناجى يشق الصفوف فى اتجاه الباب الخلفى ماراً بالقفص وبابتسامته
المعتادة ألقى عليهما التحية مكرراً عبارته: «أرجو أن يحالفكما الحظ» .



٢٠ أغسطس - سجن القناطر- القاهرة

فى حبسه الانفرادى، جلس لوتز يعدُّ الثوانى والدقائق التى باتت تفصله
عن اليوم الأخير فى محاكمته . . شريط الذكريات لا يكاد يتوقف فى عقل

لوتز حتى يعود للعمل مرة أخرى . . تارة يتذكر لحظات السعادة مع زوجته
فالتروء فى نزهاتهم تحت أشعة الشمس المصرية بخيولهم العربية الأصيلة . .
وتارة يتذكر أصدقاءه الضباط الذين ذكر أسماءهم فى اعترافاته التى بلغت
ألفاً وثمائمائة صفحة لدى المدعى العام خاصة صديقه اللواء يوسف العدل
الذى تسبب فى أذاه رغم أن هذا الأخير قدّم له خدماته بدافع الصداقة
والامتنان لمساعدات لوتز المتكررة له . . .

صوتان يتجاذبان عقله الآن، الأمل والتوق للحرية حتى ولو كانت
النتيجة الأشغال الشاقة المؤبدة، والخوف من تحقيق الحلم الذى طالما كان
يطارده فيما مضى حيث مجموعة من النازيين الذين يلبسون زيّهم المعروف
يدورون حول لوتز الملقى على سرير وهو عار وقد بدأ كل واحد منهم فى
تعذيبه بألة يدوية من آلات التعذيب فى القرن الخامس عشر وهو ما سيحققه
الحكم بالإعدام .

لكن صورة سمير ناجى تعود مرة أخرى للوتز فى الزنزانة لتقضى مضجعه
وتُعيدّه إلى الواقع حيث الجو الحار والعرق المتصبب والصمت الرهيب
والظلام الدامس والانتظار، فما هى إلا ساعات تفصله عن المشهد الأخير
فى محاكمته هو وقاتلرود وفرانز كيسو . . وصوته الدفين يردد « ماذا سيفعله
بى هؤلاء الفراعين؟ أم ماذا ستفعل بى السماء؟ » .

قاتلرود فى نفس الليلة حالكة الظلام . . تتقلب على سريرها الذى يكاد
يقصم ظهرها على غير ما اعتادت فى حياتها الماضية من الأسرّة الوثيرة . .
شريط ذكرياتها كلما توقف، عاد ليدور مرة أخرى . . ستة أشهر فى الحبس
الانفرادى مضت على هذا المنوال وصورة سمير ناجى لا تفارقها . . خاصة

عندما تصل لتلك النقطة التى ذكرها سمير ناجى فى آخر يوم من المحاكمة ، عندما قال : «إنه من خلال تعاملى مع قضايا التخابر لأعوام كثيرة مضت ، فإننى أؤكد أن أى نوع من العلاقات أو ما شابه ؛ الزواج أو الطلاق أو الحمل أو الحب أو حتى الكراهية ، فى أى جهاز أمن لا يتم إلا بأمر معطى وحسب خطة موضوعة . . ولا يوجد زواج بين الجواسيس إلا إذا كانت هناك موافقة معطاة من السلطة العليا . . » .

العرق يتصبب منها . . ويدها تلتفان حول رقبتها فى مشهد أقرب لبروثة الإعدام . . والإحساس بحبل المشنقة الغليظ . . ثم يعود شريط الذكريات ليعمل مرة أخرى وكلمات سمير ناجى هى هى ، «ولأذكركم بقضية الجاسوس الذى قبضنا عليه مؤخراً والمسمى بـ: جون ليون توماس وزوجته كيتى ، والذى كان يتجسس لصالح إسرائيل ، والذى تم إعدامه وزوجته التى حكم عليها بالإعدام غيائياً . . ، لقد وافقت منظمة الموساد على زواج لوتز بثالترود وفتحت لها حساباً فى البنك الألمانى بمبلغ ١٥ ألف دولار . . . فالثرود كانت تعرف ، كما أقر لوتز بإرساله اللاسلكى السرى . . وكانت تصاحبه فى كل أسفاره ، خاصة فى تلك التى كانت تستهدف القواعد العسكرية المصرية ، وهى التى اخترعت مسألة أنها تعاني وربما دماغياً لخلق عذر بالسفر كل ستة أشهر للوتز ومقابلته لضابط المخابرات الإسرائيلية فى الخارج . . سيدى القاضى ، لقد كانت فالثرود تساعد لوتز حتى فى جمع المعلومات عن قواعد الصواريخ السرية ، والمطارات العسكرية ، والمهابط والطرق الجديدة ، والتقارير اليومية عن اتجاهات الرأى العام ، وحرب اليمن والخبراء الألمان . . » .

وهنا توقف شريط الذاكرة وأطرقت فالتروود برأسها على سريرها ليتدلّى، فى تجسيد لإحساس النهاية التى بات يفصلها عنها ساعات قليلة فى الصباح الباكر .



الساعة العاشرة صباحاً - ٢١ أغسطس - القاهرة

يومٌ فاصل فى حياة لوتز وفالتروود وكيسو، حيث كان ثلاثتهم فى قفص الاتهام، فالיום هو يوم النطق بالحكم فى القضية التى باتت الشغل الشاغل للمصريين ودولة أخرى بأكملها لا تبتعد كثيراً عن مصر . . .

القضاء المصرى يعيش اليوم لحظة عظيمة كما عبّر بذلك سمير ناجى لأحد المراسلين الأجانب الذى وقف إلى جوار عشرات المراسلين وآلات التصوير المحاطة بحرس يرتدون البزات السوداء ويختلط فيها من هو ضابط بمن هو جندي بمن هو تابع للمباحث العامة فى زيه المدنى . .

قاعة المحكمة ممتلئة بالحضور . . وها هو الباب الصغير يُفتح بشكل رسمى حيث يؤدى إلى غرفة القضاة، ليظهر منه القضاة مع دوى كلمة «انتباه» فى القاعة .

ها هو المستشار فهمى البدوى بردائه الأسود المعتاد وشارته الخضراء . . وفى نظرة بانورامية ألقاها فهمى البدوى قبل أن يستقر على مقعده فوق

المنصة ، ويجانبه المستشار أحمد جمال الدين الشربيني ، والمستشار محمود كامل عطيفة . .

وها هو سمير ناجي يحتل موقعه المميز كادعاء في زيَّ المعهود ونظارته السوداء السميقة التي لا تفارقه وشاحه المنسدل على جنبه .

كلمة انتباه تدوى مرة أخرى في القاعة . . ويقف عندها لوتز على قدميه المرتعشتين وإلى جانبه وقفت فالترود وكيسو وأطرقا السمع داخل القفص .

وفي الصف الأمامي جلس القنصل العام الألماني وعدد من الصحفيين العالميين وممثلو شركة مانيسمان وكذلك محامى الدفاع على منصور وكراهل وعدد من رجال الأعمال الألمان وعدد من ممثلي جمعيات حقوق الإنسان منهم شاب ألماني كان يزور لوتز في السجن ويمدُّه بالسجائر والمجلات . . .

طرق القاضى بمطرقته

«فُتحت الجلسة ، ليلزم الجميع أماكنهم ، ستُعلن المحكمة الآن الحكم فى قضية السيد/ يوهان فولفجانج لوتز وفالترود كلارا مارتا وفرانز كيسو» .

وهنا نظرت فالترود للوتز حيث كانت شاحبة الوجه . . ربت لوتز على يديها قائلاً: «حاولى التماسك مهما حدث ، لا تمنحى هؤلاء المصريين المشهد الذى يريدونه» . . .

القاضى : «سيد لوتز» .

لوتز: «نعم سيدى».

القاضى: «لقد وجدتك المحكمة أنك مذنب فى التهم المنسوبة إليك بالاستمرار والإصرار على التجسس والتخريب لصالح إسرائيل ضد الجمهورية العربية المتحدة وقد حكمت عليك المحكمة بعقوبة الموت».

وهنا صرخ جميع من فى القاعة وتعالى أصواتهم . . وعادت الطرقات مرة أخرى ليستكمل القاضى كلامه: «لكن نظراً لما قامت المحكمة بوضعه فى الحبس بما قضى له من أموال وكذلك لما لألمانيا من روابط معنا، فإننا نحكم عليك بالسجن خمسة عشر عاماً الأشغال الشاقة وغرامة قدرها ٣٢٥١٩ مارك ألماني ومصادرة كل الأجهزة التى كانت فى حوزتك ويصدق على الحكم من قبل رئيس الجمهورية».

وهنا ساد شعور فى القاعة بالاستهجان . . أى حكم غير الشنق يشفى غليل هؤلاء الناس والرأى العام الذى تابع خلال الأشهر الماضية، وتم تعبثه بشكل حماسى تجاه لوتز، والآن ها هو يأخذ حكماً آخر.

القاضى: «سيدة فالترود كلارا مارتا».

فالترود: «نعم سيدى القاضى . .»، قالتها وخط رفيع من الأمل بدا واضحاً على وجهها بعد سماعها لحكم لوتز الذى أمسكت بيده .

القاضى: «لم تجديك المحكمة مذنبية فى التهم المنسوبة لك بالتجسس والتخريب لكن المحكمة تجديك مذنبية فى التهم البسيطة من مساعدة وتخريض

لزوجك فى نشاطاته الإجرامية الموجهة للجمهورية العربية المتحدة وعليها
فقد حكمت المحكمة عليك بعشر سنوات سجن وغرامة قدرها ٧٠٠٠٠
مارك ألماني ويُصدق على الحكم من قبل رئيس الجمهورية» .

وهنا ضغطت فالتروود على يد لوتز والثقة تملؤها، ونادى القاضى على
كيسو بالألمانية ثم قال بالعربية: «بعد النظر بدقة والأخذ فى الاعتبار البراهين
التي قُدمت ضدك تجددك المحكمة بأنك غير مذنب بأى منها حيث كانت
مراسلاتك عليها تقارير لمعلومات اقتصادية عادية نُشر أغلبها فى صحف
الألمانية» .

وصرخ القاضى فى الجميع: «رُفعت الجلسة» .

وبدأ الحرس فى الالتفاف حول الثلاثة داخل القفص عند خروجهم منه
مشكلين حاجزاً بينهم وبين عدسات التصوير والجالية الألمانية الحاضرة،
وبدأت الهتافات داخل القاعة، ومشى الجميع فى صف واحد عبر السلالم
الواقعة خلف المحكمة . . حيث سيارة السجن وعدد من العربات المصفحة
المصاحبة والمحيطه بهذه السيارة التي يصعد درجاتها لوتز ويلقى نظرة على
مجموعة من الفضوليين والصحفيين الذين يصرخون . . يا لوتز يا لوتز . .
ما هو شعورك . . ومع ابتسامة صغيرة من لوتز وتحية بيده فى الهواء بعثها
لهؤلاء، انطلقت السيارة والحرس المرافق فى سرعته إلى حيث سيقضى
لوتز أيامه القادمة هو وثالتروود، بين جدران السجن مع عدد من
الشخصيات الكبيرة التي سيصادفها هناك وربما عدد من الأصدقاء
أيضاً .

مساء ٢١ أغسطس ١٩٦٥ - مبنى المخابرات الحربية - حلمية الزيتون

حالة من النشاط فى ذلك المبنى رغم ساعات الليل المتأخر . . . رتب عسكرية تتحرك فى حزم . . . جميعهم يرتدون ملابس مدنية لا تدل على رتبهم العسكرية إلا أن الجميع يتحرك فى نطاق ضيق عبر الطوابق الثلاثة الموجودة فى قلب الحى السكنى المعروف . . .

دقات الساعة تشير إلى الواحدة بعد منتصف الليل . . . بدأ الاجتماع المهم وبحضور قادة الأفرع . . . ومجموعة من شرائط السينما ٣٥ ملم التى تربض على طاولة الاجتماعات فى المقدمة مع آلة العرض . . . بدأ أول شريط فى العرض وانهمك جميع الضباط فى المشاهدة . . . وفى يد كل منهم ورقة وقلم لتدوين الملاحظات .

وهكذا استمر العرض حتى انتهت الأفلام الخمسة التى كانت عبارة عن لقطات لمنشآت عسكرية، وحفلات، وصور لبعض الوثائق المهمة باللغة الألمانية واللغة الإنجليزية وكذلك العربية . . . قامت بالتقاطها فالترود عبر سنواتها الخمس التى قضتها إلى الآن فى مصر مع لوتز الذى شهدت القاهرة اليوم محاكمته علناً أمام أعين العامة . . .

أضىء مصباح قاعة الاجتماعات وبدأ رئيس الجهاز الحديث وهو فى غاية الخلق والتوتر، «طبعاً كارثة كبيرة بكل المقاييس، اللى عنده تعليق يقوله قبل ما أتكلم»، نطق بهذه الكلمات رئيس المخابرات الحربية وهو رجل ذو ملامح حادة يحمل بين حاجبيه تفاصيل حياة مليئة بالأهوال وذكاؤه يكاد يقفز من عينيه .

عميد: «يا فندم إحنا فى خلال السنوات السبع اللى فاتت وإحنا فى حرب باردة مع إسرائيل . . أهم ملمح فيها كمية الجواسيس اللى بيتقبض عليهم، واللى لسّا إحنا متابعينهم وحتقبض عليهم فى القريب العاجل وا هو لوتز آخر فأر سقط فى المصيدة حتى الآن» .

رائد: «هذا تقرير كامل ومفصّل عن حجم المعلومات ونوعها إالى حصل عليها لوتز، متضمن الرسائل المشفرة سواء استقبالا أو إرسالاً . . طبعا زى ما سيادتك كلفتنى، أنا حضرت كل جلسات المحاكمة وقدمت شهادتى كخبير وممثل لوزارة الدفاع أمام القضاء» .

القائد: «الجزء الأهم هو الجاى . . عايز منكم وضع خطة تحرك زمنية لتغيير المواقع العسكرية والخرائط على مستوى وزارة الدفاع بالكامل وخاصة قواعد الصواريخ . . لأن احتمال وصول معلومات دقيقة للعدو أكبر بكثير من المتوقع أو المستتج» .

الخطة تكون جاهزة خلال أسبوع لعرضها على السيد وزير الحربية ومن ثم السيد رئيس الجمهورية .

الطلب الثانى: وضع كافة القيادات من رتبة عميد فصاعد تحت الرقابة ورفع تقارير شهرية عنهم . . أصدقائهم . . حفلاتهم . . مكان وجودهم أثناء إجازاتهم واحتكاكهم بالمدنيين وخصوصاً لو أجنب» .

العميد: «عُلم وينفّذ يا فندم» .

الرائد: «عُلم وينفّذ يا فندم» .

القائد: «انصرف للجميع ما عدا النقيب خيرت، عايزك ما تمشيش» .
انصرف الجميع بهدوء، حتى الفنّى الذى يقوم بعرض الأفلام . .
وأصبحت القاعة فى صمت . . .

القائد: «تعال يا خيرت، اقعد هنا قدامى» .
النقيب خيرت: «تمام يا فندم . تقرير الرأى العام الخارجى جاهز وتقرير
الرأى العام الداخلى جاهز» .

القائد: «أنا عايز منك حاجة تانية، كل الرُتب المتورطة فى قضية لوتز،
تتأكد بنفسك من وقوع الجزاءات وتطبيق قرارات المحاكم التأديبية اللى
حتتعمل لهم خلال الأيام الجايّة . .

حاسس يا خيرت إن فى مصيبة كبيرة حتحصل لمصر الأيام الجاية لو ما
فتّحناش عيننا بشكل كفاية . . إحنا مهتمين بالروح المعنوية والدعاية أكثر من
الواقع» .

النقيب خيرت: «يا فندم أنا خايف من استدراجنا لطلب رفع قوات حفظ
السلام الأجنبية من سيناء . . الإذاعات العربية والتصريحات مش سايانه
وبتعايرنا» .

القائد: «أمّال فى صوت العرب وأحمد سعيد . . إنت مش على اتصال
دائم معاهم؟» .

نقيب خيرت: «ده قائم يا فندم طوال الوقت . . لكن . . .» .

القائد: «لكن إيه؟ اتكلّم يا خيرت؟» .

نقيب خيرت: «استأذن سيادتك . . أقولك كل حاجة لكن بعد أسبوع . . لما أتأكد منها» .

القائد يحرك رأسه بهدوء: «خذ وقتك . . وزى ما علمتك - الهدوء والدقة ومحدث فوق الشبهات» .

قام النقيب خيرت وأدى التحية العسكرية وانصرف ومعه مجموعة من الملفات . . وبعد أن تأكد القائد من خلو القاعة ، رفع سماعة التليفون الأحمر قائلاً: «إدبنى يا بنى الرائد صلاح . . المخبرات العامة» .

لحظات وكان الرائد صلاح على الخط ويرد بترحاب شديد وبعد تبادل عبارات الاطمئنان قال القائد: «بقولك إيه يا صلاح . . الراجل الخواجة اللي اسمه لوتز ده أخباره إيه؟» .

الرائد صلاح: «حقيقعد شوية فى سجن القناطر لحد ما يصدق رئيس الجمهورية على الحكم وبعدين يروح طُرة» .

القائد: «عايزين نعرف أخباره فى السجن» .

الرائد صلاح يقهقه ضاحكاً ويقول: «اطمن يا فندم اللي عايزه حيحصل وموضوع فى الاعتبار اللي أبعد من السجن كمان» .

القائد يردّ على الضحك بضحك أعلى: «عارف والله يا فندم ، رجالة صلاح بيه نصر ، ما يفتوتوش حاجة ، الله ينور يا فندم» .

وعادت المكالمة لإيقاعها الهادئ ثم انتهت . .



أكتوبر ١٩٦٥ - سجن القناطر

سجن النساء مقابل سجن الرجال . . هناك امتيازات حصل عليها لوتز خلال الأيام الماضية منها زيارة قالتروود له ساعة واحدة كل صباح ، زيارة القس البروتستانتي الألماني صاحب اللسان الخلو للوتز للتخفيف عنه كل أسبوع حيث كان يمد لوتز ببعض الكتب والمجلات وكذلك السجائر . . أما القنصل الألماني د . جيجز فكان فى كل زيارة يقوم بها للوتز كأنه يقطع قطعة لحم من جسده . . فهو رجل فظ بطبعه ، متململ حتى فى واجبات عمله . زيارة واحدة هى التى قام بها حتى الآن للوتز ، صافحه فيها بفتور كأنه لم يشاهده من قبل رغم الحفلات التى كانا قد تقابلا فيها فى الماضى . .

الحال تغيرت بالنسبة للوتز الأيام الماضية . . بعد حياة الرغد والشهرة هو الآن فى السجن المؤقت ينتظر تصديق رئيس الجمهورية على حكمه . . هو الآن لا يشعر إلا بقلق طفيف . . فطبقاً للقانون المصرى الذى يُعطى لرئيس الجمهورية صلاحية تنفيذ الحكم الصادر أو تخفيفه أو حتى منح عفو نهائى لكنه لا يستطيع الزيادة فى الحكم . . وبالتالي لوتز مطمئن إلى أن حبل المشنقة أصبح بعيداً عنه كل البعد ، إلا أنه يخاف أن يُوضع له سم أو يتعرض للتعذيب ، فهو فى السجن الذى طالما سمع عنه الكثير .

زنازة لوتز متران فى مترين ، تعلوها نافذة صغيرة ذات قضبان سميكة ، يقضى فيها ٢٢ ساعة ونصف ما بين نائم أو قارئ أما الساعة والنصف المتبقية فهى موزعة ما بين رؤية قالتروود ، والمشى بجانب سور السجن ويصحبه الحراس المدججين بالسلاح ، الحديث مع السجناء ممنوع ، الزنازين شديدة القسوة على السجناء الذين يفترشون بطاطين مهترئة على الأرض ، فالأثاث

والأسرة شيء من الرفاهية لا يحظى به إلا قلة، منهم لوتز، هناك صفيحة فى زاوية الزنزانة لقضاء الحاجة وأخرى مملوءة بالماء، يقوم بتنظيف زنزانة لوتز أحد السجناء بأمر من الرقيب المسئول عن العنبر، والذي كان لوتز يلاحظ بعد كل عملية تنظيف اختفاء علب السجائر أو بعض الجوارب التى سُمح للوتز الاحتفاظ بها وببقية ملابسه على غير العادة والقانون.

هناك صوتٌ خلف النافذة أعلى الزنزانة ينادى لوتز من آن لآخر: «يا خواجه.. خواجه لوتز».

إنه صوت سجين عرف لوتز فيما بعد أنه محمد مكى، مسئول كبير فى الأعراف الملكية قبل الثورة، قُبض عليه وهو يقوم بتهديب طائرة محملة بسبائك ذهبية من ممتلكات الأسرة الملكية إلى الملك فاروق فى إيطاليا.. قضى حتى الآن ١٣ عاماً من حكم عليه بالمؤبد.

ها هو الصوت يُعاود مرة أخرى.. «خواجه لوتز».

لوتز: «أوه.. أهلاً بك من جديد يا محمد.. إيه الأخبار؟».

محمد مكى: «النهار ده وصل التصديق على حكمك وحينقلوك إلى سجن طرة قريب، والله كانت صحبه طيبة يا خواجه».

لوتز: «وماذا عن زوجتى فالتروء؟».

محمد مكى: «لقد صدق على حكمها أيضاً لكنها ستبقى فى سجن النساء هنا فى القناطر لكن على أية حال سجن طرة ده سمعته زى الزفت بس حتقابل واحد هناك اسمه فيكتور، حايساعدك وابقى سلّملى عليه».

لوتز: «من هو فيكتور هذا؟».

محمد مكّي: «ده جاسوس إسرائيلي، واخذ مؤيد وبقاله ١١ سنه وهو تقريراً الى بيدير سجن طرة بفلوسه وسجائره وعلاقاته وكمان حسب الأقدمية فى السجن ودى حاجة مهمة جداً. سلام مؤقت لأن الحارس النجس شكله جاى. سلام يا خواجه».

ها هو الصمت يعود مرة أخرى فى زنزانه لوتز مع الأخبار السيئة، فهو لن يستطيع رؤية فالترود كما كان. وأخذ لوتز يحكّ جبينه بيده اليسرى محاولاً تذكر من يكون فيكتور هذا. «هل يا ترى هو فيكتور ليفى أحد المتورطين فى قضية لاثون؟ كيف تكون شخصية هذا الرجل؟ هل أكشف له عن هويّتى؟ وأسئلة كثيرة دارت فى رأس لوتز لكنه فى النهاية حسم أمره وقال بشكل منولوجى: «فى النهاية ليكن ما يكون. هو زميل فى عالم الجاسوسية وإسرائيلى مثلى».

وصمت لوتز على صمته، وأغلق عينيه منتظراً طلوع الصباح والسجن الجديد.

فى مكتب مدير سجن القناطر جلس لوتز مع فالترود لوداعها حيث أخلى الضابط مدير السجن مكتبه كما هى العادة دائماً مثل هذه المواقف الإنسانية.

لوتز: «لا تقلقى. سأكون فى حال أفضل فى طرة فهناك أصدقاؤنا».

فالترود: «هل تثق فى أنهم لن يتركونا؟».

لوتز : «نعم يا عزيزتى . . ما سأفتقده هو رؤيتك وكذلك قراءة ما تكتبينه على ورق السجائر وتخبيثينه فى قعر علبة السجائر ، آه آه آه . هيا يا عزيزتى ابتسمى حتى يمر الوقت بسرعة» .

وطبع قبلة على فمها دامت لدقيقة كاملة ربما كانت لتمتد لولا دخول الحارس المفاجئ واقتياده للوتز مكبلاً فى أغلاله ، حيث أعطاه الحارس بنظرونًا وفائلة طويلة الأكمام خضراء مصنوعة من الخيش ، ليرتديها لوتز قبل صعوده سيارة السجن التى ستنتقل إلى طرة ، جميع السجناء فى الصيف والشتاء ، وأثناء المطر وحتى تحت أشعة الشمس المحرقة لا يلبسون الأحذية بل يسمح لمن يمتلك حذاء أن يبقى معه وعدا ذلك يبقى السجن عارى القدمين . .

ربت مدير السجن على كتف لوتز قائلاً : «شكلك أحسن فى البدلة الخضراء ، هناك فى طره يمكن تلاقى هدوم أحسن » .

صافح لوتز مدير السجن بعد أن ابتسم معقّباً على ما سمعه ، ثم انطلق مع الحارس إلى السيارة وإلى سجن طره سبى السمعة .



الفصل الرابع

سجن طرة - نوفمبر - ١٩٦٥

فى ذلك الطريق اعتاد لوتز أن يسير فيه بسيارته الثولكس فاجن وهو يستمتع بالنخيل السامق الموجود على ضفتى النيل حيث مياهه التى تلمع تحت أشعة الشمس ونسائم الصيف التى كانت تداعب شعر فالتروود وهى تجلس إلى جانبه فى السيارة . . لطالما مرَّ لوتز من هذا الطريق وكان يُلقي نظرة على أسوار ذاك المكان سيئ السمعة غير أنه به، لكن ها هى الأقدار . . لوتز الآن داخل هذه الأسوار يحمل رقم ٣٨٨ - حُكم عليه بالسجن خمسة عشر عاماً كاملة .

يوم فى هذا السجن كآلف يوم خارجه . . حياة مختلفة تماماً بدت للوتز منذ اللحظة الأولى، السيجارة لها مفعول السحر على السجناء، بها يمكنك أن تحصل على أصدقاء، معلومات، سخَّان ماء للشاى والقهوة، سلك معدنى لتوصيل الكهرباء، بطانية إضافية من أحد السجناء وقليل منهم ربما يقبل كنس أو مسح زنزانتك لقاء سيجارتين أو أكثر، هكذا قرأ لوتز المشهد منذ الساعات الأولى له هنا، وبالطبع ليس من الصعب على جاسوس وصل

بذكاء إلى شخصيات مهمة فى الجيش والشرطة والحكومة فى أقل من ستة أعوام أن يصل إلى أصدقاء جدد فى عالم أقل رحابة من العالم الخارجى ، على الأقل لتحسين ظروف المعيشة الجديدة . دارت كل هذه الأحاسيس والأفكار فى رأس لوتز المستلقى على بطانية مهترئة فى زنزانته الجديدة ، والى تفوح منها رائحة البول وكأنها جحر للشعالب ، وبعد لحظة واحدة انتفض جسده مرة واحدة فى الهواء وأخذ يحك رقبتة بقوة وينظر ليده ليرى «بقّة» كبيرة الحجم بدا أنها ارتوت من دمه بعد ظمأ طويل .

دقق لوتز فى البطانية ثم فى الجدران على ضوء عود ثقاب فإذا به يكتشف أنه يعيش وسط غابة من البق الجائع . وشعر لوتز بإعجاب شديد بأسلوب البق فى التعامل مع الإنسان . . لا يتنبه له الإنسان أنه يُشرب من دمه إلا بعد الانتهاء من أخذ الحصة كاملة ، بعدها يشعر المرء بوخز وبرغبة فى الحك . . تماماً كما يفعل الجاسوس فى أى مجتمع ، فلا يتنبه له إلا بعد فوات الأوان . . . وها هو لوتز يشرب من نفس الكأس على طريقة الطبيعة .

وقع أقدام تقترب من الزنزانة ولوتز ينظر إلى الباب فى ترقّب ، وإذ بالباب يُفتح ليظهر منه الحارس . . كانت الساعة تقترب من الساعة مساءً .

«نمت ولا إيه يا خواجه؟ قوم انتباه علشان الضابط النوبتجى بيعدّى على الزنازين» .

لم يكثر لوتز بما سمعه وبقي جالساً يتابع النظر فى البق وما هى إلا لحظات وسمع صوت الضابط يصرخ فيه : «ألم يُعلمك الحارس بقدمى أيها السجين المستجد؟ . قف» .

نظر لوتز بهدوء للضابط وقام فى تباطؤ قائلاً بسخرية: «هل هى زيارة خاصة؟ أنا لا أحب الزيارات المتأخرة فى هذا الوقت» .

الضابط يرمقه بنظرة اشمئزاز ويقول له: «فى السجن هناك زيارات من نوع آخر، عليك أن تدعو الله ألا تكون من نصيبك» . قالها وضرب الباب بقدمه فى استدارة مرنة وانصرف وتبعه الحارس ، وبقي صدى العبارة يرن فى أذنى لوتز مع صوت القفل الحديدى والسلاسل والمزلاج ، وشعور فى داخله وكأنه فى قلب المحيط .

وما هى إلا دقائق حتى كسر ذلك الصوت الصميت المحيط بلوتز . .
إنه قادم من أعلى هذه المرة حيث نافذة صغيرة . . بحجم كرة القدم . .
«يا خواجه . . يا خواجه لوتز» .

وقف لوتز واقترب من النافذة بحذر قائلاً: «من أنت؟ وماذا تريد؟» .
«أنا من طرف السيد فيكتور . . لقد أعطانى علبه السجائر هذه لك ، وهو يرسل لك تحياته ويطلب منك الصبر حتى صباح الغد وسيكون كل شيء على ما يرام» .

لوتز: «من هو فيكتور؟» .

باغته الرجل بقوله: «يبدو أنه مهتم بك كثيراً، ولا يفعل ذلك إلا مع الإسرائيليين مثله ، هل أنت إسرائيلى؟» .

لوتز: «لا أنا ألمانى» .

الرجل : «لكنك جاسوس تعمل لصالحهم ، لا يهم . . هل تريد كوباً من الشاي الدافئ؟» .

لوتز بتعجب وشغف : «وكيف السبيل إلى ذلك؟» .

الرجل : «انظر إلى علبة الصفيح التي تنزل تدريجياً من النافذة . . هل تراها؟» .

لوتز : «نعم . ها هي» .

الرجل : «انتبه حتى لا يقع عليك الشاي ، حاول التقاطها لأن الخيط قصير» .

لوتز : «يا للنعيم سجائر بلمونت وشاي ساخن . . أريد الآن عاهرة ، هل يستطيع السيد فيكتور توفيرها لي؟» .

الرجل يقهقه ضاحكاً : «غداً سيوفر لك فيكتور كل ما تريد ، إلى اللقاء» .

انصرف الرجل تاركاً لوتز في حالة حيرة شديدة ، لتأكد ظنونه حول هذا الشخص . . إنه فيكتور ليفي أحد عملاء الموساد المتورطين في قضية «لاقون» ، وهو يمضي عامه الحادى عشر فى السجن لكن أين الشخصان الآخران المتورطان معه؟ ما يذكره لوتز أن «مارسيل مينيو» كانت مع فالترود فى سجن القناطر كما أخبرته بذلك .

تنهّد لوتز بهدوء بعد أن شرب الشاي الذى أصبح المتبقى منه بارداً بفعل علبة الصفيح وبفعل البرد القارص ليلاً داخل الزنزانة . . لوّح لوتز بيده

لستقر علبة الصفيح بما فيها فى زاوية الزنزانة فى قاع علبة الصفيح المليئة بالبول المعتق منذ كان آخر سجين فى الزنزانة ، وأطرق رأسه ومالت به الدنيا إلى عالم الراحة إلى النوم .



٣٠ ديسمبر - بيونس آيرس - الأرجنتين - وزارة الدفاع

فى مكتب كبير احتل الدور الثالث فى مبنى وزارة الدفاع الأرجنتينية جلس طاقم السكرتارية الذين بدا عليهم التحضير للقاء مهم وحاسم . .

عدد من الوثائق يضعها أحدهم فى ملف أزرق ، والآخر يقوم بتجهيز آلة عرض سينمائية مع ثلاث علب شرائط أفلام . . وثالث يقوم بالاتفاق مع مترجم من العربية ، على طريقة وسرعة الترجمة . . أما الرابع فهو يجهز آلة التسجيل الصوتى لكل ما سيدور فى تلك القاعة التى سيجتمع فيها وزير الدفاع الأرجنتينى السيد «أورتيجا أليخاندرو» بضيوفه العرب . .

بعد دقائق قليلة وأمام مدخل المبنى استقرت سيارة سوداء اللون معلق على طرف مقدمتها علم الجمهورية العربية المتحدة . . باب السيارة يُفتح وينزل منه رجلان أحدهما مدنى والآخر بملابس عسكرية ، يصعدان إلى المبنى فى خطوات سريعة وحاسمة . . وبعد دقيقتين استقر فى نفس المكان

سيارة أخرى لها نفس اللون وعلى طرفها كان علم العراق، ونزل منها رجلان أيضاً أحدهما مدني والآخر بلباسه العسكرية، سلكا نفس الطريق إلى الداخل حتى استقر الجميع في القاعة المعدة للاجتماع . .

وبدأت لحظات الصمت وتبادل النظرات والهمهمات كلٌّ مع مساعديه، بدأ الحديث وزير الدفاع الأرجنتيني: قائلاً «أهلاً بضيوفنا الأعزاء، شركائنا في الكفاح ضد الاستعمار والقوى المعتدية».

بدأ المترجم الأرجنتيني في ترجمة كل ما يقوله وزيره إلى العربية والعكس إلى الإسبانية، كل ما يقوله الرجل الأول على اليمين الذي يرتدى بزة زرقاء وربطة عنق حمراء، وقد استقر أمامه على الطاولة علم الجمهورية العربية المتحدة، والذي قال: سيد «آليخاندر» ، الرئيس ناصر حمّلى سلامه الخاص لك ولكل شركاء التحرر في الأرجنتين . . ونحن نتطلع إلى التعاون العسكري في هذا المشروع المشترك معكم ومع أشقائنا في العراق . .

أوما الضيف الذي استقر علم العراق أمامه على الطاولة قائلاً: «بكل تأكيد سيد «آليخاندر» فالمصلحة واحدة وأنا بصفتي سفيراً للعراق لديكم أحمل كامل الصلاحيات أنا والسيد عبد الرحمن عارف في إقامة هذا الاتفاق معكم ومع الجانب المصري .

وزير الدفاع الأرجنتيني يُعطى الإشارة لبدء عرض الفيلم التسجيلي المصور ويبدأ في التعليق عليه: «إن الصواريخ تحقق هدفاً مزدوجاً فهي تصد

الطائرات المعادية وفي الوقت نفسه تصنع نوعاً من الدعاية السياسية وتعطى بريقاً خاصاً للزعماء . .

هذه أول صورة لصواريخ الكوندور^(٣). في تلك المساحة يتم وضع الاحتياجات اللازمة للبدء في هذا المشروع . . «.

السفير المصري : «إنكم تحلمون بأن تكون الأرجنتين القوة الضاربة في أمريكا اللاتينية كلها، خاصة ضد إنجلترا . . فلديكم مشكلة جزر الفوكلاند ونحن نوافق على أن نكون ضابط الاتصالات في هذا المشروع».

السفير العراقي : «لقد كنا نبحث عن طرف ثالث معنا ومع الأرجنتين حتى لا يجذب الانتباه لأعدائنا ولا لأعداء الأرجنتين لذلك وقع اختيارنا عليكم أيها المصريون».

هنا يرمق الرجل العسكري الجالس بجانب السفير المصري الذي لم يكن إلا شمس بدران الرجل ذو النفوذ والجبروت في مكتب المشير عامر ، والذي علّق بالإسبانية وبطريقة أدهشت الجميع وكل من كان في القاعة قائلاً : «حسناً شيء مقابل شيء . . الأرجنتين تقدم شبكة اتصالاتها الأوروبية وخبراتها التكنولوجية ، والعراق بموارده المالية اللازمة ، ونحن نقدم التمويه والحماية لهذا المشروع وإذا أحببتم ، نقدم الأرض والمكان الآمن البعيد عن أي شبهات أو شكوك . .

(٣) مشروع حقيقي ثم فيما بعد في مطلع الثمانينيات وكان للمشير أبو غزالة دوره الكبير فيه .

وزير الدفاع الأرجنتيني يوجه تعليقاً للسفير المصري : «برغم مشاكلكم
المشاركة حول مشروع القاهرة والظافر . . فهناك قلق أمريكي إسرائيلي شديد
منكم ولكننا وجدنا مصر خير شريك في هذا المشروع . . ونعلم أن لديكم
الخبرات الوطنية التي تعمل وتدرس في هذا المجال إلى جانب الخبراء
الألمان . . إن الزعيم ناصر بالفعل يستحق الإعجاب . .

بدا على الجميع أمارات الرضا والحماس . . وبدأت وثائق مشروع
الكندور تُوزَّع على الجانبين المصري والعراقي ، ثم تبادل الجميع توقيع
بروتوكول التعاون وانصرفوا بهدوء .



التاسعة مساءً - مقر السفارة المصرية في بيونس آيرس

«حتى ولو لم يُنفَّذ هذا المشروع الآن فإنه نواة لعمل جيد معهم خلال
السنوات القادمة» ، قالها السفير المصري لشمس بدران وهو يضع أمامه كوباً
من الشاي في اجتماعهم المغلق الذي اقتصر عليهما في أعلى غرفة في مبنى
السفارة ، حيث عادة ما يلجأ لها السفير في اجتماعاته السرية المهمة ليضمن
عدم وقوعها تحت طائلة أجهزة التنصت الاستخباراتية .

أوما شمس برأسه قائلاً : «كلامك صحيح وهو المتوقع لأن المشروع ده
حيثكلف مليارات والعراقيين لساً عندهم مشاكل مع شركات البترول اللي

واخذه امتيازات التنقيب . . صحيح مصلحتهم معنا خاصة وأنهم فى أى وقت ممكن يقعون فى حرب مع إيران ، وهوة ده الضمان الوحيد لينا معهم .

السفير : «إنت مسافر إمتى؟» .

شمس : «بكره فى طيارة ٥ مساءً» .

السفير : «قبل سفرك حيكون عندك ملف كامل بالموقف السياسى للأرجنتين والسيناريوهات المحتملة مع دول الجوار ومع إنجلترا» .

شمس : «أشكرك يا سعادة السفير واسمح لى أبقى فى الغرفة دى لحد ما أمشى علشان عندى اجتماع مع الملحق العسكرى . . وعازب أضمن سريته وأمانته» .

السفير : «طبعاً يا شمس بيه ، أنا سامع أخبار حلوة عنك يان منصب وزير الحرية حيكون من نصيبك الفترة الجاية» .

شمس بتأفف : «الشائعات بتضر حتى ولو كانت صحيحة ، من فضلك !!» .

تصافحا وانصرف السفير ، فيما انهك الوزير فى قراءة أوراق مشروع الكوندور والصور المصاحبة ووضع الملاحظات بالقلم الأحمر فى ورقة منفصلة ، وهو بين الحين والحين يشرد ببصره وتفكيره إلى مكان آخر ومشروع آخر لا يختلف كثيراً عن الكوندور وفى رأسه أسئلة كثيرة عن الخبراء الألمان الثلاثة الذين قدّموا اعتذارهم لوزارة الدفاع عن الاستمرار فى

تجاربهم فى مشروع «القاهر والظافر» ، ويحاول أن يعثر على بدلاء بنفس
الخبرة التى يتمتع بها هؤلاء ، خاصة فى مجال الأبحاث الجرثومية» .



يناير ١٩٦٦ - سجن طرة

صفعة قوية تنزل على وجه الحارس الذى مال برأسه على جدار الزنزانة
مستجيباً لسلطان النوم وحالة التعب التى لا تفارق أحداً من حراس هذا
السجن . .

«قوم يا عسكرى . . مش لابس بيادتك ليه فى رجلك ، ومش معلق
الآيش ليه زى الناس . . وكمان نايم . . افتح الزنزانة» .

كان هذا الصراخ كفيلاً بإيقاظ لوتز من نومه . . الساعة الرابعة ليلاً . . وما
هى إلا لحظة وصوت المزلاج يُفتح وكشافات الحراس المرافقين للرائد
النوبتجى مسلطة على وجه لوتز وبدأ الصمت للحظات يهيمن على
الجميع . . ثم انطلق صوت الرائد : «اقلع يا سى لوتز» .

لوتز ينظر بتعجب للرائد قائلاً فى سخرية : «هل هى حفلة شواذ» .

الرائد : «ده إجراء مفاجئ ودائم يا لوتز ، نحن نجرى تفتيشاً كاملاً ، هكذا
التعليمات . . اخلع هيا» .

لوتز يرد بتهكم: «هلاً وجهتم هذه الاحتياطات والدقة إلى الجبهة فهي تحتاجها هذه الأيام والأيام القادمة».

الرائد: «ماذا تقصد... يا خواجه».

لوتز: «لا تستمع كثيراً إلى الراديو، لا بد أن يكون لك مصادر خاصة كرجل عسكري».

الرائد بلامح هادئة: «سوف نقضى عليكم يا حثالة ونرميكم فى البحر، أنا واثق من إنك إسرائيلى ولست ألمانياً أيها المخادع».

وبسرعة انصرف بعد أن أتمَّ التفتيش... وعاد لوتز هادئاً صامتاً فى زنزانته وكأنه لم يتأثر بما قاله الضابط وهو يتساءل: «لقد أمضيت الآن الفترة الكافية لأكون على دراية بما يحدث فى هذا السجن، ترى من هو الشخص المناسب لأرشوه من أجل الحصول على بعض المعلومات، لكن لسوء الحظ نفدت سبائرى وهى العملة المستخدمة داخل السجن».

هز لوتز رأسه بهذا المنولوج ووضع رأسه على وسادته وهو يفكر فى لقائه غداً بـ «فيكتور ليقي» الذى أصبح صديقاً حميماً ومصدراً للقوة وللسبائرى أيضاً.



داخل السجن فى وردية الليل عادةً ما يأتى عبد الله عمارة، مدير السجن ليشرّف بنفسه على درجة الانضباط فى السجن... فهو يعتقد أنه لا بد

للسجن من أن يترك أثره النفسى على السجين ليحدث الناس به فيما بعد ويتأكدوا من قسوة هذا المكان .

وها هى ساعات الصبح تبدأ بعد ليلة من ليالى القهر مرت على جابر المقيم فى زنزانه مجاورة للوتز ، وها هو يحاول النهوض بصعوبة كبيرة . .

«يلا يا جابر وراك شغل كتير النهاردة، الحقنى عند الخواجة لوتز»، قالها فتُوح، السجين اللفظ الضخم الذى يسكن الزنزانه المجاورة لجابر، شتآن بين الزنزانين .

جابر برأس منخفضة وممثلة : «حاضر يا باشا» .

وصلا إلى أول محطة فى عمل اليوم، إلى لوتز فى زنزانه المفتوحة؛ فعادة ما تُفتح الزنازين ساعة واحدة فى الصباح للنظافة ، ودخلا واستقبلهما لوتز بالترحيب .

فتُوح : «أخبارك إيه يا خواجة؟» .

لوتز : «معقول!» .

فتُوح يشير إلى جابر : «يلا نضف زنزانه الخواجة علشان يوجب معاك»، ويصمت فتُوح لحظة ويعلق على جابر : «إيه ده يا حمار الخيشة المعفنة دى؟» .

جابر قائلاً : «معلش يا باشا والله مالمقتش ميه أغسلها» .

فتُوح يدور نصف دورة حول جابر وبمكر ولهجة أمرة : «أنا شايف إن قميصك ينفع بدل الحتة المعفنة دى» .

جابر ، يتلعثم فى كلامه وهو يقول : «بس يا باشا . .» .

فُتُوح : إنت مابتسمعش ولأ إيه؟» .

واندفع فُتُوح نحو جابر وحمله ووضع نصفه على السرير ومزق بعنف ثياب جابر حتى الداخلية والأخير فى حالة استسلام وصراخ بلسانه :
«خلاص . . خلاص . . ارحمنى حرام عليك ، كفاية» .

ومع اختراق أصابع فتوح لمؤخرة جابر ، صرخ الأخير صرخة مدوية . .
وعاشت الزنزانة لحظات من الصمت ولوتز يشاهد فى ترقب ما يحدث أمامه
ولم ينطق بحرف واحد . ووسط بكاء جابر الذى تحول إلى نحيب بدأ بمسح
وتنظيف زنزانة لوتز بقميصه الممزق وبروجه المغتصبة ويجسده السليب .

فى السجن قوى وضعيف وغنى وفقير . . السجناء جميعهم رجال وهى
كارثة بيولوجية ؛ لذلك يتعلم بعضهم الشذوذ الجنسى فى الخفاء ، وهنا بدا
وقع أقدام الحرس يتصاعد ومع اقترابهم أسرع فتوح ولوتز بالجلوس كأن شيئا
لم يكن ، بعد أن همس فى أذن جابر «لو اتكلمت مش حاعتقك» ؛ اقتحم
الحرس الزنزانة وفى ثوان اكتشف قائدهم ما حدث ، فصرخ فى فتوح قائلا :
« مافيش فائدة فيك أنا حذرتك قبل كده لكن اظاهر إنك لازم تتربى وتعرف
إنها مش فوضى » ثم صرخ فى الحرس «هاتووه» .



فى ساحة السجن وتحت أعين الحرأس المدججين بالسلاح أعلى الأسوار
صافح لوتز فيكتور ليشى بحرارة حيث لم يتقابلا منذ خمسة أيام، وتساءل
لوتز عن اختفاء ليشى طوال هذه المدة!

أجابه «ليشى»: «كنت أعدُّ مفاجأة لك طال انتظارك لها يا لوتز».

لوتز: «أوه! منذ زمن وحياتى عادية، أرجوك ما هى؟».

أخذ «ليشى» بيد لوتز وسارا إلى حيث الكانتين لاحتساء بعض الشاي
الأسود المغلى للمرة المائة وأسندا ظهريهما إلى شجرة فى أقصى الساحة
وهمس «ليشى» ببعض الكلمات، فتهللت أسارير لوتز على إثرها. . وما هى
إلا بضع دقائق حتى انصرفا وحالة من الترقب والانتظار تعترى لوتز لتلك
الليلة الواعدة.

القاهرة - ١٥ سبتمبر ١٩٦٦ - كوبرى القبة

وقع أقدام مجموعة من كبار الضباط متجهة إلى قاعة الاجتماعات،
الجميع متأهب وفى حالة من الحماس والثقة.

نياشين على الصدور، بيادات سوداء لامعة، صدور منتفخة بالهواء
استقر الجميع على طاولة امتدت بطول القاعة، بدأ الحديث من أعلى رتبة فى
القاعة، والذي لم يكن سوى المشير عبد الحكيم عامر، القائد العام للقوات
المسلحة المصرية، سبقه عرض لفيلم تسجيلى لعرض عسكري لوحدة خاصة

وبعض الصور لبعض الأسلحة والتعديلات التي تمت عليها . . وصور أخرى لاختبار سلاح كيماوى جديد على بعض الحيوانات حيث تذوب جلودهم مع انتشار رذاذ تلك المادة الصمغية على أجسادهم .

انتهى عرض الفيلم وأضيئت المصاييح وبدأ المشير فى الكلام :

«شكراً سيادة اللواء المذكور على كل اللى شفناه فى الفيلم، طبعاً القيادة السياسية لازم تشوف ده علشان تتأكد من جدية العمل وعدم التهاون مع عنصر الوقت، وقبل ما أسمعكم عايز أؤكد على أهمية حشد الرأى العام وتعبئة جبهة داخلية مساندة لأولادنا على الجبهة» .

أحد القادة : «سيادة المشير لازم نحط فى اعتبارنا واقع التدريب اللى إحنا محتاجينه وهو التدريب القتالى مش بس التدريبات الدفاعية وعلى مستوى الوحدات الصغرى والكبرى .

المشير باهتمام : «نعمل مناورة مشتركة مع الروس أو الألمان» .

قائد آخر : «يا فندم إحنا مش ناقصين تأليب الرأى العام العالمى علينا أكثر من كده، وبعدين وجود أفضل عناصرنا فى اليمن عامل أزمة، ده ثلث القوات البرية هناك» .

المشير : «وده فى حد ذاته عاملنا أزمة مالية كبيرة جداً، أنا معاكم» .

قائد السلاح الجوى يقلّب الكلام فى رأسه معترضاً على ملاحظات المشير التى لا تهتم إلا بالمال والميزانيات فحسب، لكنه تغلّب على صمته وقال :

«بالنسبة لينا، إحنا محتاجين مطارات جديدة وملاجئ ودُشم لتلافي الهجمات المفاجئة، ومحتاجين كمان زيادة ساعات الطيران اللي قلّت علشان تقلص الميزانية اللي نصها رايح على تجارب المحركات الجديدة والخبراء الألمان، أنا عايز زيادة فى الميزانية».

المشير: «أد إيه يعنى؟ ما أنا مخصص لكم تلت ميزانية الوزارة السنة دى عايز إيه تانى؟».

بهدهو ينظر متابعاً تعليقات قادة الأسلحة ثم إلى المشير، الذى لاحظ نظراته فقال له: «عايز تقول حاجة يا شمس؟».

بامتعاض ردّ شمس: «كل اللى عايز أقوله موجود فى التقرير يافندم اللى سلّمته لك «ثم نظر إلى المجتمعين واستطرد قائلاً «وكل واحد يلمّ نفسه ويلم الضباط الصغّيرين بتوعه».

تبادل الجميع النظرات والهمهمات فى حين استمر شمس فى توبيخه قائلاً: «قلولهم يبطلوا التجاوزات، وإلا كل واحد حيتعاقب عقاب شديد. أنا عندى أسماء متورطة وبالصور، خاصة عندك يا سيادة اللواء»، ونظر إلى الرتبة الجالسة أمامه حيث أسرع الرجل بالرد: «إزاي يا شمس بيه ده كلام أنا أرفضه».

المشير فى محاولة لغلق الموضوع: «الحاجات الصغيرة دى مش عايزين نقف عندها، لو كان ضابط صغير حصلت منه أى تجاوزات ولا حاجة ده موضوع عرضى ومش عايز رطردة كلام، خلصنا».

أرجع النظر إلى المشير وقال : «الرأى العام الداخلى قلق من صفقة طيارات «السكاي هوك» الأمريكية لإسرائيل ، لكن كله تحت السيطرة وأنا عيّنت ضابط اتصال موجود فى الإذاعة ، وكمّان برنامج أحمد سعيد «أكاذيب تكشفها حقائق»^(٤) يقوم بدور كبير حتى خارج حدود مصر» .

المشير : «بالمناسبة ابعت لأحمد سعيد بكرة ، الرئيس عايزه الساعة ١١ الصبح» وصمت لحظة ثم أكمل «وأنا بقدم لك التهنة يا شمس» .

كانت هذه التهنة بمناسبة تعيين شمس بدران ابن دفعة ٤٨ الحرية التى حُضرت فى الفالوجا حيث اقترب هناك من جمال وعبد الحكيم وحصل شمس بدران بعد ذلك على نياشين وأوسمة وولاء الضباط على كافة الرتب ، ها هو يصبح وزير الحرية وها هو قرار التكليف أمام الجميع .

استطرد المشير : «قبل ما أختتم اجتماعنا عايز أخذ رأيكم فى حاجة ؟» .

بفكر فيها من فترة ، بفكر فى سحب قوات حفظ السلام الدولية وإغلاق الخليج علشان أربى الجماعة السعوديين اللى مش فاهمين حاجة ويبلسّنا وبس ، مش عايز ردّ دلوقت ، بعدين ، اتفضلوا» .

الجميع فى حالة صمت للحظات قبل انصرافهم لتبقى القاعة خالية ما عدا شمس والمشير الذى توجه بسؤال شمس « ما قرأتش هيكल امبارح ؟» .

(٤) برنامج كان يقدمه ويكتبه الإعلامى الكبير أحمد سعيد وكان يحظى بشعبية جارفة .

وقع الكلام على أذن شمس كالصاعقة وتسمرت ملامحه للحظات فيما أكمل المشير بعد ابتسامة مأكرة: «خد بالك، ومبروك عليك الوزارة».

انصرف شمس بهدوء وبقي المشير وحده فى القاعة ليعيش لحظات من التفكير والتأمل، أشعل خلالها سيجارا، أهده إياه جيفارا الذى كان ضيفاً على الرئيس جمال منذ بضعة أيام، وبدأ يُقَلِّب فى مجموعة التقارير الملقاة أمامه بهدوء وتفكير عميق.



أكثر من مائة فرد، بعضهم يجلس القرفصاء والآخرى يمشون جيئة وذهاباً بملابسهم الزرقاء البالية وأقدامهم المغبرة، ما عدا قلة قليلة محافظة إلى حد ما على هندامها، الجميع يحدق فى لوتز الذى كان فى طريقه نحو مبنى المستشفى حيث وقف أمام الباب وتحت شجرة توت كبيرة مع فتوح الشاذ يتبادلان الكلام الخافت حتى خرج من المبنى جندى بدرجة عريّف أراد اقتياد لوتز للداخل لكن يد فتوح أمسكت بذراع العريّف وقال له: «روح إنت وزور صاحبك العريّف عند بوابة السجن وأنا حبقى مع الخواجة لوتز هنا لحد ما ترجع».

العريّف بتعجب قائلاً: «إنت بتقول إيه!! أنا عندى أمر آخذ الخواجة لمكتب الدكتور بسرعة».

فتوح: «لأ الدكتور مشغول دلوقت، حستنى شوية».

العريّف: «وانت إيش عرفك؟».

فتُوح يجيبه بنفاد صبر: «يا ابن الجاهلة انت ما بتفهمش ازاي تسلك أمورك؟! لما أقول لك الدكتور مشغول، يبقى مشغول، خُد السيجارتين دول ليك ولصاحبك وتعالى بعد عشر دقائق، فاهم؟».

أوما العريّف برأسه وذهب فيما نظر لوتز لفتُوح متسائلاً عما حدث فأجابه فتُوح بأن شخصاً ما يريد رؤيته، وما هي إلا لحظات حتى ظهر خلف شجرة التوتة فيكتور ليقي ببشرته الفاتحة وشعره الأسود وما إن تصافحا حتى تركهما فتُوح.

وبدا الحديث ليقي: «اسمع يا لوتز سوف تقابل الضابط رئيس الأركان ويدعى الدكتور فريد، حاول أن تجعله يحتفظ بك في المستشفى لعدة أيام، قل له إنك مصاب وتعاني آلاماً في الظهر وحاذر منه؛ لأنه متذبذب ومزاجي».

لوتز: «شكراً على كل ما تفعله من أجلى، إنك تتمتع بنفوذ هنا!».

ليقي: «لا تستهن بأحد عشر عاماً قضيتها من عمري هنا في السجن، كن حذراً هيأ، شالووم».

تصافحا في نفس الوقت الذي عاد فيه العريّف واقتاد لوتز لداخل المستشفى المكونة من دور واحد وصعدا ثلاث درجات إلى حيث الشرفة الواسعة حيث كان هناك أربعة رجال في بدل سوداء مدنية يدخلون ويحتسون القهوة عندها أشار العريّف للوتز بلزوم مكانه ثم تقدّم العريّف

إليهم وتبادلوا الكلام والنظرات إلى حيث يقف لوتز الذى عاد له العريف سريعاً ليقناده إلى المكتب الخاص بكبير الأطباء .

شاهد لوتز رجلاً أصلع الرأس ، فى أواخر الخمسينيات يجلس على مكتب كبير ويضع فى فمه حامل سيجارة فارغ ورجل آخر يقف إلى جانبه يعلّق سماعة الكشف حول رقبته .

خاطب الرجل الأصلع لوتز قائلاً : «أنا الدكتور فريد ، وأنت لوتز أليس كذلك؟؟!! ونظر إلى لوتز وهز رأسه فى تأفف قائلاً : «أهذا كل ما تملك من ملابس؟؟!!» .

لوتز : «وهو حتى لا يحمى من البرد» .

فريد : «هل أنت بصحة جيدة؟ هل تعاني شيئاً؟» .

لوتز يقوم بحك جلده ويقول : «أشعر ببعض الإعياء فأنا فى الماضى كنت أعالج من المراحة وأنا الآن مضطر للنوم على أرضية حجرية والبرد القارص يكاد يصلّب ظهري» .

فريد : «وفى تصورك ماذا عسائ أن أفعل؟؟!!» .

لوتز : «أوه . . لا أعلم . فأنت الطبيب ، ربما أحتاج إلى أن أبقى فى المستشفى بعض الوقت وأنام على سرير وألقى عناية هنا» .

نظر الطبيب الآخر إلى لوتز وقال بالعربية : «الراجل ده بيعرف يتكلم عربى ولا لأه؟؟» .

فأشار فريد برأسه قائلاً: «لا أعتقد».

وأردف قائلاً: «من العار علينا معاملته بهذه الطريقة، ليس عندي مانع من أن أحجزه في المستشفى لفترة قصيرة، لكن الإدارة ممكن تعمل لى مشكلة، إنت عارف التافهين دول علطول بيتهموا الواحد بالمحسوبة».

وقام برفع سماعة التليفون وقال للطرف الآخر:

«صباح الخير. دكتور كمال أنا الدكتور فريد. . . عندي السجين الألماني. . . طبعا إنت عارف أنا بتكلم عن مين؟ صحته مش كويسة وأنا بفكر أحجزه عندي، بس إنت عارف. . . «أيوه». . . يبقى فى الحاله دى. . . «أيوه بالتأكيد». . . شكراً يا دكتور. . . مع السلامة».

نظر الدكتور فريد وهز كتفيه وقال بالعربية للطبيب الآخر: «كنت عارف إن الراجل ده خطير ولازم يبقى تحت الحراسة الخاصة ولازم نأخذ الإذن الأول من الإدارة» ثم نظر للوتز وخاطبه بالإنجليزية قائلاً: «أسف يا لوتز. . . خذ هذه الورقة فيها بعض الدواء المؤقت. . . وحاول الاتصال بقنصل بلادكم لربما استطاع مساعدتك».

طأطأ لوتز برأسه وأمسك العريّف بذراعه وعادا إلى حيث جاءا.



فى السجن هناك زنزانه لفرد واحد وهناك زنزانه نفس المساحة لخمسة عشر فرداً ينامون بالدور ويجلسون بالداخل القرفصاء على بلاطة أو بلاطة

ونصف وسط رائحة كريهة . . لكن لوتز بفضل وضعه كسجين سياسى ألمانى كان يتمتع ببعض الامتيازات ، كان آخرها هذا الصباح ، فهو يجلس مع فتوح والعشماوى . . يأكلون بيضاً بالبطرمة مع البطاطس المقلية والبول . . فهذا هو السجن والسجّان يأكلان من طبق واحد داخل السجن . . فعشماوى الذى اعتاد الإفطار مع لوتز وإمتاعه بقصص الشنق التى يقوم بها مرتين أو ثلاث أسبوعياً يُعرب له عن استمتاعه بهذه اللعبة ويقول : «إنه أمر مسلّ؛ البعض يكونون متأدبين والبعض الآخر منهارين ولا يستجمعون قواهم للمشى» ، ومع اللقمة الكبيرة التى علق ربعها فى شاربه استطرد : «هذا الصباح تقيّاً السجن قبل أن ألف الحبل حول رقبته فغمرنى بسائل لعين ، ليتك كنت مكانه يا خواجة» ، قالها وأطلق ضحكة صفراء .

لوتز بعربية ركيكة : «لا داعٍ لهذه الأمنية يا عشماوى ، خذ هذه السجّارة أحسن» .

انتهى الجميع من الإفطار وقام فتوح يعرض على لوتز نزهة إلى الزنزانة الأخيرة التى فيها المشاهير طبعاً ؛ سجناء سياسيون ، وافق لوتز بامتنان حيث كان يحب دائماً الذهاب هناك ومقابلة الهضيبى الإخوانى المعروف ، وكذلك مصطفى أمين الصحفى الشهير ، وكذلك النقيب أحمد لطفى من البحرية الذى حُكم عليه بـ : خمسة وعشرين عاماً بتهمة التجسس لصالح المخابرات البريطانية ، وقد حُكم على أبيه من قبله بالإعدام لنفس التهمة ، لوتز يجد فى هذه المقابلات نوعاً آخر من العمل ، فهو يعرف أسراراً جديدة وأحوالاً لأوضاع البلد الذى يوشك على الكارثة ، بينما تبقى موضوعات لوتز مع

ليشى أكثر أهمية خاصة حينما يتبادلان الحديث عن المحاجر التى تبعد ثلاثة أميال عن السجن ، والتى ذهب ليشى إليها مع رفاقه اليهود لمدة ثلاثة أعوام متواصلة فى عمل يقصم الظهر .

الأقدمية مهمة للسجين من أجل الراحة ، بعد مضى ثلاث سنوات ينتقل السجين من الدرجة الثالثة إلى الثانية حيث يعمل فى إحدى ورش العمل داخل مبنى السجن ، وبعد مضى ست سنوات يتم ترقيته إلى سجين من الدرجة الأولى حيث لا يقوم بعمل شئ ، ويُعطى امتيازات منها خطابات إضافية ، بعض الأثاث فى زنزانته ومزيد من المال للحصول على طعام من الكانتين ، وهو يتقاضى فى هذه الدرجة عشرة جنيهات . . لوتز تم وضعه بعد بضعة أشهر داخل السجن فى زنزانة درجة أولى بفضل جهود ليشى وقد ساعده فى ذلك مدير السجن الذى كان يعشق السجائر الأمريكية والشوكولاتة السويسرية .

وفى زنزانة لوتز الآن كُتب ومجلات وراديو صغير ومولد كهربائى للشاى والقهوة بالإضافة للخادم ، هو أحد السجناء بأجر ستة سجائر يومية .

لم يكن السجناء بمعزل عما يدور فى الخارج من أخبار وإشاعات عن الحرب المنتظرة فى أية لحظة ، مشاعر العداء والكرهية تزداد داخل السجون لليهود كما هى فى الخارج حتى إن الحراس الذين كانت تربطهم بلوتز علاقات نفعية أصبحوا فى شدة الخوف أن يراهم أحد وهم يقفون أو يتحدثون معه ، لكن حتى الآن وبرغم مرور قرابة العامين للوتز فى السجن

لم يعرف أحد أنه يهودى، حتى أصدقاؤه اليهود داخل السجن، يعرفون فقط أنه مجرد ضابط ألماني تم تجنيده من قبل الموساد ثم قاده مصيره العائر إلى زنزانة خمس نجوم داخل سجن طره... فى ليلة من ليالى العمر التى لا ينساها لوتز، كانت ليلة الكريسماس حيث اجتمع بأصدقائه اليهود؛ روبرت داسا وفيليب ناتهانسون وطبعاً أقدمهم وأكثرهم خبرة فى السجن فيكتور ليثى، وكان الحوار السائد بينهم بالإنجليزية حول السياسة الإسرائيلية، وفى لحظة احتدام الخلاف بينهم، قال روبرت لليثى بالعبرية: «لا تتوقع بأن يفهم هذا الألماني حقيقة المشاعر الإسرائيلية كما نحسها نحن» وهنا نظر لوتز بحدة إليهما وقال بالعبرية: «أيها الحمقى... أنا إسرائيلي مثلكم... أنا الرائد زئيف جور أريأ»^(٥) وساد الصمت للحظات ثم انطلقت الضحكات وزادت الحميمية بينهم... لكن برغم الصداقة التى هوّت على لوتز حياة السجن البغيضة إلا أنها لم تعوضه عن قاتلرود التى كانت لا تحظى بما يحظى به هو فى السجن من صداقات وكان هذا سبباً فى كراهية لوتز للقنصل الألماني الذى تجاهل واجبه تجاهها.

حياة لوتز داخل السجن لا تخلو من المغامرة... فقد قرر هو وأصدقاؤه اليهود حفر ممر تحت الأرض ليتمكنوا من الهرب إلى خارج السجن وبعدها يتدبر بعض الأصدقاء فى الخارج أمرهم من إحضار جوازات السفر وتهريبهم على ظهر باخرة ما. فيليب وفيكتور كانا متحمسين أكثر من غيرهما لهذه الطريقة التى تحتاج لتنفيذها إلى بعض الملابس المدنية وتوقيت يكون فى

(٥) Ze'ev Gur-Ari وهو الاسم الحقيقى للوتز.

وضح النهار، إلا أن روبرت داسا كان متحفظاً على هذه الفكرة؛ لأنه قد أمضى أربعة عشر عاماً ولم يبق له إلا القليل، ويرغم ذلك فقد كان شغوفاً بمتابعة الحفر كل يوم مع أصدقائه، إلا أن لوتز يعلّق دائماً على هذه الطريقة بأنها سوف تنجح بنسبة خمسين بالمائة فى أفضل حالاتها، ، مما كان يُشعر ليثى بالحزن والأسى، فهى سبيله الوحيد فى الخروج من هذا العالم الأبدى.

وازداد الأمر تعقيداً بالنسبة للوتز عندما قطعت مصر علاقاتها بألمانيا الغربية بسبب موقفها المؤيد لإسرائيل بالإضافة لما فعله مواطنها لوتز من تجسس لصالح إسرائيل، أصبح التفتيش شبه يومى للوتز ومتعلقاته وبدأت الضغوط تزداد عليه عندما أصبح الجميع حتى السجناء خائفين من التعامل معه.

الصحافة المصرية تعكس كل يوم الاستعدادات للحرب وتعبى المشاعر ضد إسرائيل والغرب حتى إن أحد السجناء قام برسم كاريكاتورى على جدران السجن ليهودى تُركل مؤخرته بحذاء جندى مصرى حتى الموت، الراديو يُطلق بصوت عال داخل ساحات السجن ليسمع السجناء الموسيقى العسكرية والخطابات الحماسية والتعليقات السياسية خاصة أحمد سعيد الذى كان صوته يمثل صداداً ورعباً للوتز ورفاقه اليهود داخل السجن وها هى الحرب قاب قوسين أو أدنى من الاشتعال، وبدأت إشاعة تسرى بين السجناء أنه عند قيام الحرب سيُطلق نراح كل السجناء ما عدا السجناء السياسيين حيث سيُطلق عليهم النار فى زنازينهم.

اختراق العمق وصولاً إلى الأقاليم التابعة لما يُدعى بدولة إسرائيل ، والتي ستُمحى من وجه الأرض فى بضعة أيام ، فالحرب المقدسة قد أعلنت ، واستلَّ سيف الإسلام وسنوافيكم بالبلاغات الرسمية الصادرة فى الفترات الفاصلة كل ساعة طوال اليوم» .

ثم بدأت الموسيقى العسكرية تعزف السلام الوطنى .

وبعد ساعة من الصمت المطبق على لوتز ، الذى تحجَّر فى مكانه واقفاً أمام النافذة بدأت إذاعة البيان التالى «تتقدم الفرق العسكرية المصرية المدرَّعة بسرعة داخل الأراضى المحتلة وقد احتلت بالفعل بلدات وقرى كثيرة وقد جُهِّزت بعض المدرعات فى مقدمة الفرق العسكرية بمكبرات صوت حيث يصدر منها الأوامر إلى الأهالى اليهود بلزوم منازلهم وإخلاء الشوارع وقد استقبل عرب فلسطين الذين أجبروا على أن يعيشوا تحت الاستعباد الصهيونى لسنين ، استقبلوا بترحاب وحماسة ورقص فى الشوارع وكثير منهم يبكى من السعادة ، وقد حوصرت مجموعة كبيرة من الجيش والمدرعات الإسرائيلية ويتم الآن تدميرهم بالكامل وقد أسقطت فى الساعتين الأوليين من اندلاع الحرب أكثر من ثمانى طائرات حربية إسرائيلية ، ويستمر سقوطهم من السماء كأوراق جافة تقع عن شجرة ميتة ، وغداً بإذن الله سوف يُصلى جنودنا العشاء فى تل أبيب» .

تقلصت أمعاء لوتز من الاضطراب والقلق وبدأ ألف سؤال يدور فى رأسه ، لكن صوت مدير السجن الأجنس لم يمهله ، فها هو يُسمع عبر

مكبرات الصوت يقول: «أيها الضباط والجنود والسجناء - إخوانى!! إن هذا اليوم لهو يوم عظيم فى تاريخ الشعب المصرى ويوم عظيم فى تاريخ جمهوريتنا ولأمتنا العربية، حيث أعلن العدو الحرب علينا وقبلنا التحدى وقد تمكن جيشنا المنتصر من أجزاء كبيرة من فلسطين ولن يطول الوقت على طرد آخر يهودى من وطننا العربى، ابتهجوا يا إخوانى وأنا واثق من شعوركم!! اليوم تلاشت الفروق بين الضابط والحارس والسجين، لأن بلدنا تعيش الحرب وهذا المكان يمثل مسئولية كبيرة علينا جميعاً حيث كل منا له دوره فى تحقيق النصر السريع والنهائى وأنا أتوقع من جميع السجناء ممن حصلوا على شهادات صحية من الطبيب بأن يتبرعوا بالدم لجنودنا عند خط النار وسوف نقلل ساعات العمل فى المحاجر والورش؛ لأننا فى حاجة إلى الضباط والحراس لإدارة معسكر سجناء الحرب حيث تم أسر الآلاف من الجنود الإسرائيليين من بينهم ثلاثمائة طيار، وأرجو أن تعرفوا بأنه لن يكون هناك زيارات حتى تنتهى حالة الطوارئ هذه وسوف يكون هناك تعقيم كامل فى المساء، فلا مصابيح ولا نيران».

بدأ لوتز يمشى فى الزنزانة ذهاباً وإياباً. . تجربته العسكرية والاستخباراتية علمته ألا يُخدع فى التصريحات الرسمية ولا البيانات ولا فيما تكتبه الصحف أو تذيعه المحطات حتى ولو كانت البى بى سى أو صوت أمريكا اللتين كان لوتز يستمع إليهما دائماً، لكن لوتز بدأ يقلب الكلام فى رأسه. . فلو أن عشرة فى المائة من هذا الكلام وهو الحد المعقول حدث بالفعل، فإسرائيل تعيش فى موقف حرج للغاية، لكن كيف يحدث هذا؟ فالخرائط

التي سلمها لوتز والمعلومات التي بعث بها، خاصة الأخيرة، كلها تدور حول مكان الانفجارات الثلاثة التي وقعت صباح اليوم. . عقله يكاد يجن، ماذا يفعل؟ من يصدق؟ هو لا يملك في هذه اللحظة الرهانة إلا تحليل كل ما سمعه طوال اليوم والانتظار حتى الصباح لمقابلة صديقه مصطفى أمين الصحفي الجاسوس.

وفي صباح اليوم التالي اتجه لوتز إلى زنزانة مصطفى أمين ليجد عددًا من السجناء السياسيين هناك لنفس السبب. . ولم يكمل تحية مصطفى حيث بادره بالسؤال، هل ما سمعناه هذا صحيح في نشرات الأخبار، فأجابه مصطفى: «ده إعلام وقت الحروب، يعنى كله كذب». . واتجه مصطفى أمين نحو الراديو ووضع بين السجناء وبدءوا في سماع البيان الجديد الذي كان بمثابة إعلان لرغبة الرئيس جمال عبد الناصر في التنحي عن منصبه، وما إن انتهى البيان حتى أغلق مصطفى الراديو وساد صمت طويل قطعه لوتز بسؤال مصطفى: «ماذا ترى في تنحي ناصر؟

مصطفى أمين: «إنها كذبة، هو قال ذلك لعصابته المطيعة في البرلمان، فهو يريدهم فقط أن يرجونه ويلتفون حوله ليظل في منصبه وأراهنك على أى شيء تريده يا لوتز إنهم يجهزون الآن لمظاهرة تأييدية. . والشاحنات الآن تحمل عشرات الفلاحين وعمال المصانع للقيام بهذه المظاهرة نظير خمسة جنيهات لكل فرد، يركضون في الشوارع، ومن ثم يبدأ عقل القطيع في العمل. . . وعندها سيصغى ناصر لرغبة الشعب».

لوتز بدأ يعلق على كلام مصطفى فى حين اتجه أحد السجناء بسؤال لوتز قائلاً: «قولى يا خواجه وانت راجل صاحب خبرة، يعنى إيه خط دفاع تانى اللى جه فى البيان؟» .

لوتز: «يعنى ببساطة قناة السويس» .

السجين: «أو ببساطة حدود القاهرة وده معناه أن الإسرائيليين سيصلون إلى هنا ويقومون بقتل الضباط والجنود وإطلاق سراحنا واحتلال القاهرة» .

لوتز بسخرية: «لا تكن مغفلاً يا رجل عاصمة كالعاهرة تحتاج لضعفى سكان إسرائيل الثلاثة ملايين لاحتلالها فقط . . . هذا مستحيل»، ساد الصمت والهمهمات المكان وانصرف الجميع إلى زنازينهم . . وعاش لوتز الأيام التالية فى ترقب وانتظار فى ظل قلة الطعام والنظافة وتردى الحالة الصحية حيث أصاب جلده الطفح وكان على وشك الهلاك .



٢٧ يونية ١٩٦٧ - القاهرة

الحياة هادئة فى الشوارع، المواطنون فى حالة غليان، رؤوسهم مطأطة للأسفل، لا يكاد يظهر أى عسكري بزيه الرسمى فى الشوارع حتى يتعرض للسباب والشتائم وفى بعض الأحيان للاعتداء .

أصوات التراجيل تختلط فى المقاهى بصوت الراديوهاى التى تنبعث منها الموسيقى العسكرية والبيانات والأخبار التى أصبح الناس يشكّون فى صحتها بنسبة تسعة وتسعين وتسع من عشرة فى المائة ومع كل هذا، من يُضبط متلبساً بأى إهانة أو تعليق سياسى ضد الحكومة يُودع فى المعتقل أو تُنصب له العروسة فى الشارع ليُجلد أمام أهل الحى أو القرية .

أخبار فى الصحف عن خلافات المشير عبد الحكيم عامر مع الرئيس جمال عبد الناصر ، القبض على مجموعة من الضباط يخططون للانقلاب ، أخبار عن اعتقال صلاح نصر رئيس المخابرات ومعاونيه وخاصة حسّان عlish ، حيث ألقى اللوم عليهم فى هذه الهزيمة والنكسة التى جسدوها فى تقاريرهم على أنها انتصار فى اللحظات الأولى ، وكذلك استخدموا المال العام فى أغراضهم الشخصية واعتقلوا وعذبوا المدنيين ، منشآت صحفية لأسماء كبار معاونى شمس بدران وزير الحربية ، منهم صفوت الروبى ، وإيداعهم فى السجن ، الأحوال مقلوبة ؛ من كان فى القمة أصبح الآن وراء القضبان وهكذا يعيش المجتمع لحظة الانكسار والهزيمة ، والعشرات يفكّرون فى الهجرة .

«سيد لوتز لك زيارة، هيا انهض» قالها الحارس وهو يقف على أعتاب الزنانة منتظراً لوتز لاصطحابه . . ويصل لوتز لمكتب مدير السجن وتنفجر أساريه عندما وقعت عيناه على كراهل أربان ، المحامى ، والصدى .

مقهى الصيرفى - ٢٨ يونية - القاهرة

الحياة فى المقاهى أكثر نموذج يجسد الحياة وحركة الناس فى مصر، لقاءات عابرة تحددها المصادفة فحسب بين مرتادى المقهى، خاصة هذه الأيام عقب النكسة. الكل يبحث عن منفعة المباشرة وكسب رزقه. . كما لو أن الجميع تنازل عن حلم مشترك وهدف موحد اجتمعوا طيلة السنوات الماضية من أجله، لكن زبائن المقهى أصبحوا أكثر جرأة فى نقد الواقع والحديث بحرية دون خوف من المرشدين، فكامل أفندى بعد إصابته الأخيرة أصبح مقعداً، لا يرى فى المقهى إلا يوم السبت فقط ويساعده فى النزول للمقهى صديقه شحاتة أفندى، وها هما يدخلان المقهى على نداء القهوجى «وسّع يا بنى انت وهوة لعمك كامل وسى شحاتة» حيث استقبلا من الجميع بابتسامة ورضى وجلس كامل أفندى فى تباطؤ ومع زفرة ملؤها الحزن والهم قال: «إيه الأيام اللي احنا عايشنها دى يا سى شحاتة؟».

ونظر شحاتة لكامل وقلّب بصره فى أرجاء المقهى كأنما يحاول أن يهرب من الإجابة لكنه عبثاً حاول. . فقال: «شدة وتزول عن البلد يا كامل يا خويا».

كامل أفندى ينادى على القهوجى متسائلاً عن باقى الوجوه التى اعتاد أن يراها فى المقهى خاصة المهندس الشاب الذى كان يقرأ الجرنال كل يوم فى هذا الوقت وكذلك الأستاذ مفيد المدرس المساعد فى الجامعة وسرور الساعاتى، الجميع قد أتم أوراقه للهجرة، هذا ما أكدده القهوجى، لكنه لم

يكن على علم أين اختفى على الدُّهل ، الجدد والفتوة ابن الحارة الذى اختفى منذ عدة سنوات ، والذى ما زال طيب الذكر فى مقهى الصيرفى وعند الناس ، والذى كان يحل مشاكلهم ويستجدون به فى الملمات .

مع نزول الطلبات أمام كامل أفندى وشحاتة ووسط أنفاس التراجيل وأصوات الرد ولعلعة عبد الوهاب من خلال المدياع منشداً «أخى جاوز الظالمون المدى . . » ، تساءل شحاتة هارون بتعجب «أنا مش قادر أصدق اللي بقراه فى الصحف ، تصور يا كامل أفندى يا خويا كل ده يحصل ! بقى اللواء عبد العزيز مصطفى محافظ البحر الأحمر ، والفريق محمد صدقى محمود قائد القوات الجوية ، واللواء عبد الرحمن فهمى واللواء حمزة البسيونى مدير السجن الحربى ، كل دول يتسجنوا» .

كامل أفندى : «خليك دقيق شوية ، دول تم إحالتهم للاستيداع والآخر هرب» .

شحاتة هارون : «بس ده يقولك كلهم ليهم تسجيلات تليفونية تُدينهم» .

كامل أفندى : «كمان نسيت المقدم «أحمد عبد الله» اللى كان قائد الانقلاب المدبر مع المشير ضد الرئيس جمال ، الجرنال نشر فى مقال هيكل نص المكاملة التليفونية وهو يقول للمشير : «إحنا ولادك يا سيادة المشير» .

شحاتة هارون : «أنا قرأت خمسة وخمسين اسم متهم فى قضية الانقلاب ده ، دى حاجة تمخول الرأس» .

واستمر الجميع فى استحضار قراءاته عن الواقع وعن البلد وعن الوطن الذى ينزف .



كوبرى القبة - غرة أغسطس ١٩٦٧

الأعصاب مشدودة، لا أحد فوق القانون، الواحد تلو الواحد يُستدعى للتحقيق معه فى قضايا الفساد والانحراف . . ووسط هذا المشهد المشحون بقى عدد من الضباط المسئولين عن العمل الخارجى للجهاز خارج حدود الجمهورية العربية المتحدة ، مستمرين فى أداء عملهم بإخلاص وإتقان ، ، هذا هو الفارق بين من يعمل من أجل وطن ومن يعمل من أجل رضى فرد أو مسئول .

الرائد صلاح الذى اعتاد الجلوس أمام النافذة خلف مكتبه وهو ينفث دخان سيجارته بعد أن أتم استعراض ملف أزرق كبير ، ها هو يستدير بكرسيه ويقف فى حزم ويمسك بالملف ويهم بالمغادرة ، وإذا بالباب يُفتح ويدخل ثلاثة من معاونيه . « كله تمام يا فندم » قالها الثلاثة وانطلقوا خلف الرائد صلاح الذى كان على موعد مع الرجل الأول فى الدولة .



هناك قضايا من الحساسية بمكان أن لا يعطى فيها قرار إلا رئيس الدولة خاصة فى وقت الحروب . . وها هو الرائد صلاح الآن فى مكتب الرئيس

جمال فى بيته بمنشية البكرى وعلى الطاولة الصغيرة أمامه الملف الأزرق الذى لم يكن سوى مشروع مبادلة الأسرى المصريين بالسجناء اليهود والباسوس الألمانى لوتز.

بعد دقائق من مطالعة الرئيس جمال الملف بالكامل ، رفع رأسه وقال : «نسبة نجاح الموضوع ده اد إيه يا صلاح؟» .

الرائد صلاح : «مائة بالمائة بإذن الله يا ريس» .

الرئيس جمال : «دول خمسة آلاف جندى وتسعة لواءات يا صلاح ، عارف الدعاية الللى حتكسبها إسرائيل فى مقايضة العدد الكبير ده بعشرة إسرائيليين بس ، منهم الباسوس لوتز ، أد إيه؟» .

الرائد صلاح : «عارف يا فندم . بس عارف زى ما سيادتك عارف إن رجالة مصر حير جعلوها تانى وكمان طعم كبير إحنا محضرينه للعدو خلال السنوات الجاية حيسوى هناك على أرضهم» .

الرئيس جمال : «نجاح الطعم ده حيعتمد على سريته يا صلاح» .

وبنظرة الوثائق يومئى صلاح برأسه قائلاً : «ربنا معانا يا فندم ، دم شهدائنا مش حيروح هدر ، الباسوس لوتز الألمانى إحنا عارفين حقيقته وأصله إيه وحجم الكارثة الللى اتسببها لمصر فى النكسة الللى احنا عايشنها دى» .

الرئيس جمال : «بس إنت حترجعه سليم تانى لإسرائيل وحيعامل هناك على إنه بطل؟» .

الرائد صلاح: «حيرج وترجع معاه أفلامه اللي صورها لأهم وحداتنا ومواقع الصواريخ وحنديله الانطباع اللي هو عايزه عنا، وبعد كده حنتقل للمرحلة «ب» الموضحة لسيادتك فى الملف الأزرق اللي قدام سيادتك».

الرئيس جمال: «ربنا معاك يا صلاح.. ومش مهم الناس تقول ايه دلوقت، المهم حيقولوا إيه بعدين لما يعرفوا الحقيقة، نفذ».



بعد أسبوعين حالة من النشاط يشهدها لوتز هذا الصباح فى زنزانته، خاصة مع صوت المزلاج والسلاسل وهى تُفتح ودخول أحد الضباط ومعه الحرس وبصحبتهم ليثى، الذى اتجه للوتز وعانقه بحرارة قائلاً: «لقد صدر التقرير الطبى الخاص بك اليوم يا لوتز، مبروك، عندك سرطان لا علاج له وعيوب خلقية فى القلب خطيرة ويؤكد التقرير أنك لن تعيش سوى ثلاثة أشهر».

لوتز بتعجب: «يا للهول! ماذا يعنى هذا؟».

ليثى: «يعنى إطلاق سراحك لأسباب طبية» قالها ليثى ونظر للضابط والحرس بتشفٍّ وشماتة.

وهنا وبلهجة حاسمة قال الضابط للوتز: «أمامك عشر دقائق لحمل ما تجده مهماً؛ لأنك ستغادر السجن.. خلاص يا خواجه».

لوتز بسعادة غامرة: «أحقاً.. ولكن ماذا عن فالترود زوجتى».

الضابط : «إنها فى انتظارك فى مكتب مدير السجن ، ، هيا» .

امتدت يد مدير السجن عبد الله عماره لمصافحة لوتز قائلاً : «مبروك يا لوتز ، إنت الآن حر وقاتلرود . . سوف تغادر السجن هذا المساء إلى ألمانيا ، وقبل ذلك سيصطحبك الحرس إلى مكتب مدير الرواتب لتأخذ أموالك وتستبدل بملابسك هذا الزى الذى كم تمنيت أن تبقى به أكثر من ذلك عندنا ، لكنها الأقدار» قالها مدير السجن وأنصرف بسرعة من مكتبه كما لو كان لا يريد أن يسمع أية ردود من لوتز الذى عاش لحظة من السعادة كان ينتظرها هو وقاتلرود منذ زمن طويل . . كلمة تتكون من حرفين . . «حر» . . عندما يسمعها الإنسان العادى يشعر بمنتهى الرضا ، لكن عندما يسمعها السجنين فربما تخرج روحه ساعتها من الفرحه . . لم ينس لوتز أن يودّع أصدقاءه السجناء الذين عرفهم فى السجن ، فها هو الهضيبى رجل الإخوان يعانقه بحرارة ويقول له : «دعنا نتمنى لك الحظ الجيد يا لوتز ، أنت رجل جيد ، بارك الله فيك وحفظك» فى حين لم يتوقع لوتز هذه الكلمات من شخص كهذا .

وها هو الصحفى مصطفى أمين يصافحه قائلاً : «لا بد أن تقوم بالكتابة وإخبار العالم عما يحدث فى السجون المصرية» .

وأخيراً ها هو ليثى يعانق لوتز ويقوم بهندمة قميصه وربطة عنقه قائلاً : «لا تغضب من روبرت وفيليب فلم يكن مسموحاً بمغادرتهم الزنزانة ، دعنى أتمنى لك السعادة» .

لوتز : «لقد طمأننى مدير السجن أنكم ستلحقون بى ، ما هى إلا أيام» .

وفى سعادة تعانقا وصعد لوتز العربة الخاصة بنقله برفقة قاتلرود إلى المطار مع عدد من الحرس الذين حاول لوتز بنجاح مقايضتهم ، جنيهاً واحداً على كل قيد يفكوه عنه وعن قاتلرود معللاً ذلك بأنه ليس من اللائق أن يدخل المطار بقيود فى يده ، قبل الحرس ذلك بعد نقاش دار بينهم ، حسمه كبيرهم بقوله بسخرية : «إنتو خايفين من إيه ، هو هيهرب؟» .

فى مطار القاهرة وفى قاعة المغادرة اقترب رجل فى ملابس مدنية وقام مرافقو لوتز بتحيته حيث بدا عليه أنه من البوليس السرى ، قال للحرس : «تقدروا ترجعوا دلوقت والسيد لوتز والسيدة قاتلرود معايا» ، ثم استدار فى اتجاههما قائلاً : «مساء الخير ، سوف تظللان بصحبتي حتى إقلاع الطائرة ، اتبعونى من فضلكما» .

سار الرجل وخلفه لوتز وقاتلرود ، وكل الأبواب والممرات تُفتح له ، جمارك وجوازات . . حتى وصلوا إلى صالة الترانزيت وهنا استدار الرجل لهما وقال : «أمام الإقلاع خمس عشرة ساعة ، يمكنكما التجوال بحرية هنا ، هناك مطعم فى الدور العلوى ومحال فى السوق الحرة ، لكن دون التخاطب مع أحد حتى أضمن لكما مغادرة هادئة دون مشاكل» .

لم يتنه آخر حرف فى كلام هذا الرجل وإذا بلوتز بفزع وهلع شديدين لرجل ظهر من الخلف ومعه رجل آخر ، لوتز يعرف هذا الرجل جيداً إنه من قام بالقبض عليه عند قبيلته فى الهرم وهو من أوصله إلى السجن

بتحقيقاته ومرافعته التى حفظها لوتز عن ظهر قلب ، إنه سمير ناجى وكيل نيابة أمن الدولة ، هذا الرجل البدين ذو النظارة السوداء والصوت الذى يشبه فحيح الأفاعى . . انتفض جسد لوتز وهو يصرخ متلعثماً «ماذا تريد منى يا رجل؟» .

يضحك سمير وبنفس نبرة الصوت التى يقشعر جسد لوتز لها يرد عليه قائلاً: «جئت أودّعك يا سيد لوتز أنت وزوجتك فالتروود، سامحنى . . طوال هذه المدة لم أزرك فى السجن، لقد كنت مشغولاً» .

لوتز : «أشكرك على عدم زيارتك يا رجل ، هل تريد منى الآن شيئاً؟» .

سمير: «لا، لا شىء . لدى بعض الأشياء الخاصة بك، يبدو أنك نسيتها» وأعطى الإشارة لمرافقه الذى قدم للوتز حقيبة كبيرة نوعاً ما، بها قلمه الخبر ومحفظته والكاميرا السينمائية الخاصة بـ«التروود» وتسع لفات سينمائية غير محمضة» .

وهنا نظر لوتز لمحتويات الحقيبة ولللفات السينمائية غير المحمضة وهو يكاد لا يصدق نفسه .



لوتز و«التروود» الآن على باب الطائرة التابعة لشركة اللوفتهانزا وقد تسلما من الرجل المرافق لهما جوازى سفرهما، ولم يُفارق الرجل مكانه على أرض المطار حيث تابعه لوتز بنظرة عبر النافذة، حتى تحركت الطائرة وعندها تنفس لوتز و«التروود» بعمق وتبادلا قبلة دامت للحظات، حيث توقفت مع

توقف الطائرة عن الحركة فى المدرج ، بقلق وتوتر شديد تبادل لوتز الكلام الصامت مع فالتروء بنظرهما . . لم يستطع أن يتحدث ، لقد شلَّ لسانه ولم يُعلق حتى سمع قائد الطائرة عبر أجهزة النداء داخل الطائرة يقول : « بعض الشكليات البسيطة وسوف نطلع خلال دقائق » اتجهت فالتروء بالسؤال للوتز قائلاً : « هذه طائرة ألمانية ونحن وفقًا القانون على أرض ألمانية » .

جاوبها لوتز متظاهرا بالثقة فيما تقوله : « بالطبع يا عزيزتى » .

ومرَّت عشرون دقيقة هى الأطول فى حياة لوتز حتى عادت الروح لمحركات الطائرة ثم بدأت فى الصعود إلى أعلى إلى السماء وإلى الهواء وهنا أمسك لوتز بيد فالتروء وقال : « الآن فقط أشعر بالحرية ! ! » .



٣٠ مارس ١٩٧٣ - قل أبيب

٣ ، ٢ ، ١ ، اتفضل . قالها المخرج ليبدأ جينجز الحلقة الأخيرة فى برنامج الوثائقى الذى استغرق حوالى الأشهر الثلاثة لإتمام التصوير .

« سيداتى سادتى . . أهلاً بكم من جديد إلى الحلقة الأخيرة من قصة سيد الجواسيس ، جاسوس الشمبانيا ، يوهان فولقجانبج لوتز . سيد لوتز كيف تشعر الآن بعد كل ما مضى من أحداث ؟ » .

لوتز: «الراحة والاستقرار والنصر».

جينجز: «ما هي الشخصية الأكثر إثارة بالنسبة لك في كل ما مضى؟».

لوتز: «ذاك البدين ذو النظارة السوداء، المدعو سمير ناجي».

جينجز: «كيف ترى الوضع السياسى الراهن والعسكرى لإسرائيل ومصر؟».

لوتز: «مطمئن بدرجة كبيرة، فالموساد يستطيع أن يعرف ما سيحدث فى أى مكان فضلاً عن إسرائيل قبل سنة من الآن».

جينجز: «ماذا عن أصدقائك الآخرين؟».

لوتز: «الجميع تزوج وأنجب، روبرت داسا يدرس العلوم الشرقية الآن، وفيليب ناتهانسون أصبح مصوراً فوتوغرافياً فرانز كيسو لا يزال يعمل فى المؤسسة الألمانية فى مانيسمان بالخارج وجيرهارد بوتش قد اختفى تماماً لكن سمعت أنه يعمل فى السفارة الألمانية فى واشنطن أما والدا فالترود فهما الأكثر معاناة، والدها يعانى السكر والدتها تعانى مرضاً فى الرئة والقلب وهما يعيشان الآن فى هيلبورن بجنوب ألمانيا فى منزلهما الريفى حيث يحتجبان عن عدسات الصحف والمحطات التليفزيونية الطامعة فى أى لقاء معهما، نزولاً عند رغبتى أنا».

جينجز: «وماذا عن المصريين هناك فى مصر؟».

لوتز: «أغلبهم تم القبض عليهم ومنهم من أحيل للتقاعد».

جينجز : «هل بسبب عملهم معك؟» .

لوتز : «علىَّ أن أكون منصفًا، لقد استخدمتهم دون اتفاق أو معرفة لهم بحقيقتي، لكن السلطات تعاملت معهم على أنهم مهملون حيث كانوا غير حذرين في حديثهم وفي علاقاتهم بالأجانب، بالإضافة لقبولهم هداياي الكثيرة، والتي اعتبرتها السلطات هناك رشوة» .

جينجز : «وماذا عن الخبراء الألمان هناك؟» .

لوتز يقول في ثقة : «لقد رحل الجميع تقريبًا وتم إحلالهم بروس، ولا اعتقد أن شيئًا ما سيُنتج من تلك الطائرات أو الصواريخ» .

جينجز : «في النهاية هل تود قول شيء ما؟» :

لوتز : «إن الدور الذي أدّيته لعدة أعوام في القاهرة كان معركة ضمن حرب التجسس . . المعركة الصامتة خلف الأضواء حيث كانت في منتهى الصعوبة ودائمًا نتائجها ليست سارة، لكنها وظيفة دائمة ولا بد أن يقوم بها شخص ما» .

جينجز : «لكنك لم تعلق كثيرًا على سؤالى حول الوضع السياسى والعسكرى لبلدك مع مصر الآن؟» .

لوتز : «ربما أشعر بأن أمرًا ما سيحدث فذلك الرجل الذى يثيرنا دائمًا عندما أسمع تحركاته أو خطبه فى الإذاعة وهو من نوعية ذلك البدين سمير ناجى، لكنى مطمئن لأجهزتنا كما قلت لك» .

جينجز: «سيد لوتز شكراً جزيلاً لك على هذه الفرصة».

«STOP»

قالها المخرج، وانفض الجمع داخل منزل لوتز، وعادت الكراسي والأشياء لمكانها، وإذا بلوتز بشكل مفاجئ يصرخ في خادمه صرُوف: «ماذا تفعل هناك، ألم أقل لك إن هذه الساعة مكانها ليس هنا وعليك أن تنقلها إلى هناك؟».

بامثال يرد صرُوف: «حاضر يا سيدي، أنا آسف» قالها وأخذ يتمتم بصوت خافت: «دم شهدائنا مش هيروح هدر!! يا لوتز الكلب».



عبد الله سيد عبد العزيز يسرى

مذيع بقناة النيل الثقافية

التليفزيون المصرى

E mail: Yousri74 2003@hotmail.com

